تفسير سورة الشمس

إعداد

د/ محمد علي بيومي أحمد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

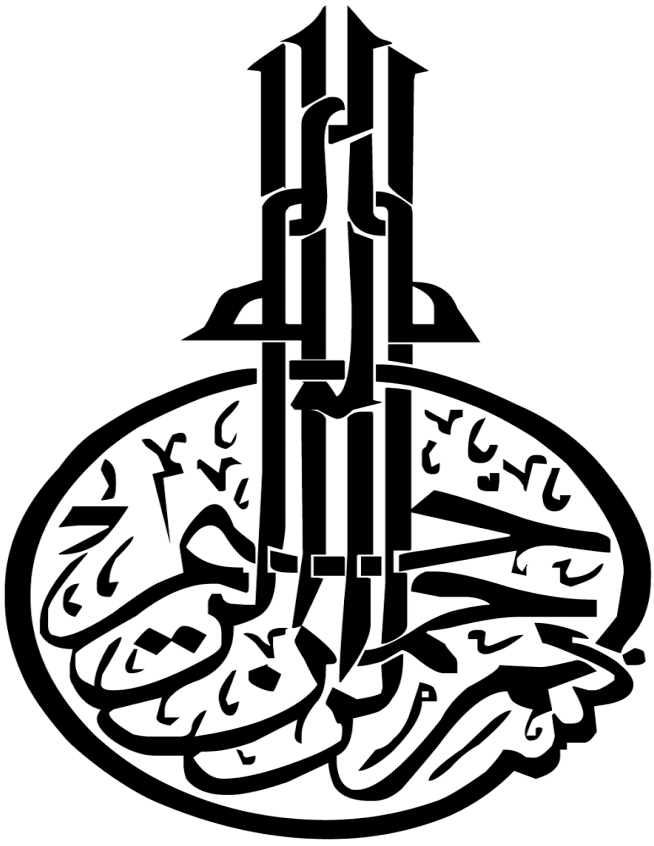

تفسير سورة الشمس

محمد علي بيومي
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة السادات، جامعة الأزهر، مدينة السادات، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني:mohamedahmed2508.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يتكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، وتفسير آيات السورة الكريمة، وخاتمة وجاءت على النحو التالي:

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره ، ومشكلة البحث، ومنهج البحث وخطته.

والتمهيد وفيه: بين يدي السورة، مقاصد السورة، مناسبة السورة لما قبلها، مناسبة السورة لما بعدها، فضائل السورة، مكية السورة وترتيبها في النزول، عدد آياتها وكلماتها وحروفها، اسم السورة وسبب تسميتها، الوقف والابتداء في السورة، .

وتفسير آيات السورة الكريمة، وهي خمس عشرة آية.

والخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

ثم فهارس للمصادر والمراجع، والموضوعات.

والهدف من البحث هو: تفسير سورة الشمس تفسيرا، كاملا، صحيحا، تفسيرا يتناسب مع قواعد اللغة، وأقوال المفسرين، مشفوعا بالأحاديث المؤيدة للأقوال، ومعرفة الراجح من الأقوال عند الاختلاف.

اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج التحليلي.

وذلك: من خلال دراسة كل آية دراسة مستقلة، من خلال كتب المعاجم لبيان معاني الكلمات، والتفاسير القديمة والحديثة لبيان أقوال العلماء في الآيات، ومعرفة أسباب نزولها، وما يتعلق بها من مقتضيات البحث.

توصلت لعدة نتائج منها: أن لله أن يقسم بما شاء من عبادة، قسم الله بهذه المخلوقات هو تعظيم لها، تناسق الترتيب بين سور البلد والشمس والضحى، ومدى الترابط بينها، أن الذي عقر الناقة هو قدار أحيمر ثمود، عقاب الله محتم للظالمين وواقع بهم لا محالة.

ويوصي الباحث بالاهتمام بتفسير كتاب الله تعالى، وإبراز ما فيه من الإعجاز الإلهي، ودراسة قصص الأنبياء دراسة مستفيضة، وتنقيحها من الإسرائيليات والدخيل، وما دسه أعداء الإسلام، اهتمام الباحثين بالموضوعات المهمة التي تخدم القرآن الكريم واختيارها بدقة ليكون النفع بها أعم وأشمل.

الكلمات المفتاحية: تفسير – الشمس – القسم – ثمود – ناقة.

Interpretation of Surah Al-Shams

Muhammad Ali Bayoumi
Department: Interpretation and Quran Sciences, College: Islamic and Arabic Studies for Girls, Sadat City, Al-Azhar University, Sadat City, Arab Republic of Egypt.
Email: mohamedahmed2508.el@azhar.edu.eg

Abstract :
The research consists of: an introduction, a preface, an interpretation of the verses of the noble surah, and a conclusion, and it is as follows:
The introduction includes: the importance of the topic, the reasons for choosing it, the research problem, the research method and its plan.
The preamble and in it are: in front of the surah, the purposes of the surah, the appropriateness of the surah to the one before it, the appropriateness of the surah to the next, the virtues of the surah, the Meccanity of the surah and its order in revelation, the number of its verses, words and letters, the name of the surah and the reason for its name, the endowment and the beginning of the surah.
And the interpretation of the verses of the noble surah, which is fifteen verses.
Conclusion: It includes the most important results of the research.
Then indexes of sources, references, and topics
The aim of the research is: the interpretation of Surat Al-Shams, a complete, correct interpretation, an interpretation that matches the rules of the language, and the sayings of the commentators, accompanied by the hadiths supporting the sayings, and the knowledge of the most correct of the sayings when there is a difference.
I relied in writing this research on the analytical method.
And that: by studying each verse an independent study, through dictionaries books to clarify the meanings of the

words, and the ancient and modern interpretations to clarify the sayings of scholars in the verses, and the reasons for their revelation and the related requirements of research.

I reached several conclusions, including: that God swears by whatever he wills of worship, God's swearing of these creatures is a glorification of them, the consistency of the arrangement between the city wall, the sun and the forenoon, and the extent of the connection between them.

The researcher recommends paying attention to the interpretation of the Book of God Almighty, highlighting the divine miracles in it, thoroughly studying the stories of the prophets, and refining them from the Israelites and the intruder, and what the enemies of Islam have trampled on.

Keywords: Interpretation - The Sun - Section - Thamud - Camel.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، سيدنا محمد بن عبد الله رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وبعد،

فإن علم التّفسير من أهم العلوم الشرعية، إن لم يكن أهمها، لتعلقه بكلام الله تعالى، فكل العلوم تأخذ منه وتنتهي إليه، هو الوسيلة التي تساعد البشر على فهم معاني آيات القرآن بقدر طاقاتهم البشرية، ومعرفة مراد الله منها، فما الفقيه إلا مفسر فيما يتحدث فيه من الاستدلال بآيات الله، وما المحدث إلا مفسر في جزء من أحاديثه، وما المتكلم إلا مفسر لما يتوافق مع المعتقد الصحيح، وما اللغوي إلا مأصِّل ومجذِّر لكلماته من خلال القرآن الكريم، من هنا كان شرف البحث في التفسير هو غاية الشرف؛ ولذا أردنا أن ننهل من هذا العلم، واخترنا بفضل الله وتوفيقه سورة الشمس،

فسورة الشمس من سور القرآن العظيمة، والّتي قد سمّيت باسم إحدى مخلوقات الله تعالى، وهي السّورة الحادية والتسعون بحسب الرسم القرآني، والثالثة من المجموعة الثانية عشرة من قسم المفصل، وابتدئها الله سبحانه بالقسم؛ مما يدل على أهمية ما تحتويه من الآيات، فلا يقسم الله إلا بعظيم ولا يقسم إلا على عظيم، وهي السورة التي ورد فيها أطول قسم متتابع في القرآن، وجاء جواب قسمها منصبا على النفس البشرية مما يدل على أهمية الاهتمام بها، وهي أيضا السورة التي مع قصرها تحدثت عن جانب من جوانب قصة نبي مع قومه،

وفي هذا البحث سنعرض العديد من المعلومات المتعلّقة بتفسير آيات السورة الكريمة، وما أنزل الله من العذاب على قوم ثمود بعدما عقروا الناقة وكذبوا نبيه صالحا.

وإنّي ادعو الله تعالى أن يكون هذا البحث ذا فائدة ونفعٍ لي ولكل الباحثين وطلاب العلم.

أسباب اختياري لهذا الموضوع:

هذا وقد دفعني لاختيار هذا البحث عدة أسباب:

الأول: أهمية التفسير التحليلي؛ لما يتضمنه من تفسير شامل كامل لجميع جوانب الآية الكريمة.

الثاني: الحاجّة لفَهْم القرآن، والاهتداء به في التعامل مع الآخرين على اختلافهم، والترغيب فيما رغب الله فيه، والتحذير عمّا نهى الله عنه، وبيان ما حدث لإحدى الأمم السابقة.

الثالث: المشاركة في تفسير ولو جزء بسيط، أو سورة من سور القرآن الكريم، واستكشاف ما فيها من أسرار.

الرابع: كانت اختياري لهذه السورة خاصة دون سور القرآن، تعلقي بهذه السورة بسبب إبداع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد في قراءتها، أردت معايشتها كاملة من خلال تفسيرها.

مشكلة البحث:

جمع أقوال العلماء المختلفة من بطون كتب التفسير وغيرها، والتوفيق بينهما، وتتبع الآية في كتب المعاجم والغريب والقراءات، وغيرها من الكتب حتى يتثنى للباحث تفسيرها تفسيرا صحيحا شاملا .

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج التحليلي، **وذلك:** من خلال دراسة كل آية دراسة تحليلية مستقلة، من خلال كتب المعاجم لبيان معاني الكلمات، والتفاسير القديمة والحديثة لبيان أقوال العلماء في الآيات، ومعرفة أسباب نزولها، وما يتعلق بها من مقتضيات البحث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من: مقدمة، وتمهيد، ومقصود البحث (وهو تفسير آيات السورة الكريمة)، وخاتمة.

وجاءت الخطة على النحو التالي:

المقدمة وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره ، ومشكلة البحث، ومنهج البحث وخطته.

والتمهيد وفيه، بين يدي السورة ويشتمل على: مقاصد السورة، مناسبة السورة لما قبلها، مناسبة السورة لما بعدها، فضائل السورة، مكية السورة وترتيبها في النزول، عدد آياتها وكلماتها وحروفها، اسم السورة وسبب تسميتها، الوقف والابتداء في السورة، القسم.

مقصود البحث: تفسير آيات السورة الكريمة، وهي خمس عشرة آية.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج وتوصيات البحث.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

بين يدي السورة

هي السورة الحادية والتسعون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الثالثة من المجموعة الثانية عشرة من قسم المفصل، وهي خمس عشرة آية وخمسون كلمة، ومائتان وسبعة وأربعون حرفا(١).

وليس فيها نسخ، ولا أحكام سوى الحض على الصدقة(٢).

مقاصد السورة:

أنزل الله كل شيء لحكمة، ولمراد له تعالى، وإن سورة الشمس أنزلها الله تعالى لعدة مقاصد جليلة منها:

١- الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي.

٢- تعظيم مخلوقات الله تعالى؛ فهو سبحانه يقسم بالشمس والقمر والنهار والليل وغيرها، في إشارة منه سبحانه إلى عظمتها، ولتنبيه خلقة إلى الاعتبار بها، وفي ذلك يقول الرازي: «الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ التَّرْغِيبُ فِي الطَّاعَاتِ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى يُنَبِّهُ عِبَادَهُ دَائِمًا بِأَنْ يَذْكُرَ فِي الْقَسَمِ أَنْوَاعَ مَخْلُوقَاتِهِ الْمُتَضَمِّنَةَ لِلْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ؛ حَتَّى يَتَأَمَّلَ الْمُكَلَّفُ فِيهَا وَيَشْكُرَ عَلَيْهَا (٣)».

٣- بيان أهمية القسم في الشريعة الإسلامية، وأنه يجب على المسلم ألا يقسم إلا على أمر عظيم، فإنه تعظيم للشيء بذكر عظمة الذات

---

(١) بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا حويش (ت: ١٣٩٨هـ) (١/ ٢٢١)، الأساس في التفسير ل سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ) (١١/ ٦٥٣٩).

(٢) أحكام القرآن لمحمد عبد المنعم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (ت ٥٩٧ هـ) (٣/ ٦٢٠).

(٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لمحمد بن عمرو التميمى الرازي (ت: ٦٠٦هـ) (٣١/ ١٧٣).

الإلهية، فالله يقسم على النفس وهي أمر عظيم فقد أقسم الله «هنا بآيات كونية باهرة لها صلة وثيقة بما تضمنته السورة من مسألة جديرة بالعناية والاهتمام، إنها مسألة تزكية النفس التي تقترن بفلاح صاحبها[1]».

٤- أهمية تزكية النفس في الشريعة: فقد أقسم الله عليها بعدد من المقسمات، فإن من يزكي نفسه يفلح وينجى، ومن يوردها موارد الخطيئة يخسر ويهلك، يقول البقاعي:

«ومقصودها: إثبات التصرف في النفوس التي هي سرج الأبدان، تقودها إلى سعادة أو كبد ونكد وهوان، كما أن الشمس سراج الفلك، يتصرف سبحانه فيها بالاختيار إضلالاً وهداية، ونعيماً وشقاوة، كتصرفه في الشمس وكذا في جميع الأكوان بما له من عظيم الشأن[2]».

٥- بيان عاقبة الأمم السابقة متمثلة في قوم ثمود وما حل بهم، لما خابت نفوسهم، وكذبوا نبي الله وعقروا ناقته يقول دكتور سيد طنطاوي: «ومن مقاصدها: تهديد المشركين بأنهم سيصيبهم ما أصاب المكذبين من قبلهم، إذا ما استمروا في كفرهم[3]».

---

(١) تاريخ نزول القرآن لمحمد رأفت سعيد (ص٢١١)، وينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) (١/ ٥٢٢).

(٢) مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، والمسمى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، لإبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) (٣/ ١٩٦).

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي (١٥/ ٤٠٩).

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

مناسبة موضوع سورة الشمس لسورة البلد:

لما تقدم في سورة البلد تعريفه تعالى بما خلق فيه الإنسان من الكبد مع ما جعل له سبحانه من آلات النظر، وبسط له من الدلائل والعبر، وأظهره في صورة من مَلك قياده وميز رشده وعناده وهذا بيان النجدين ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الإنسان ٣]

أقسم سبحانه في هذه السورة على فلاح من اختار رشده واستعمل جهده، وأنفق وجده ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ ، وخيبة من غاب هداه فاتبع هواه، ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾. فبين حال الفريقين وسلوك الطريقين [1].

وأما مناسبة السورة لما قبلها فهو أمر بديع؛ لشدة التناسب بينهما، فكأن سورة الشمس جاءت لتكمل سورة البلد وتضيف إليها، حتى إننا لا نكاد نلمح تباينا بين السورتين في موضوعهما وفي مقدار آياتهما.

فأما مناسبة فاتحة السورة لفاتحة ما قبلها؛ فسورة البلد تبدأ بالقسم بالبيت الحرام، والثناء على النبي ﷺ، وسورة الشمس تبدأ بالقسم بالشمس، ثم تعطف عليها عدة معطوفات، فقد تأخر الجواب في كل منهما عن القسم، ثم كان جواب القسم في سورة البلد أن الله خلق الإنسان في كبد، فكأنه بيَّن بجواب القسم في سورة الشمس سبب هذا الكبد، وبيَّن سبب الخلاص منه؛ فجاء جواب القسم بفلاح من زكى النفس وخيبة من أفجرها،

(١) البرهان فى تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) (ص٣٦٤)

فكأن الإنسان في كبد بسبب نفسه، فهو إما مخالف لها ولشهواتها متبع لرضوان ربه، وإما مساير لها فهو في كبد بسبب غضب ربه.

وأما مناسبة فاتحة سورة الشمس لخاتمة ما قبلها . سورة البلد ـ: فإن سورة البلد تحدثت عن بعض مظاهر قدرة الله في الإنسان من اللسان والعينين والشفتين وغيرهم، وهنا بدأت سورة الشمس ببعض مظاهر قدرة الله في كونه ومخلوقاته من الشمس والقمر وغيرهما.

وأما مناسبة خاتمة سورة الشمس لخاتمة سورة البلد فأمر عجيب: فتتحدث سورة البلد عن أن الله هداه السبيلين، وحذره من اقتحام العقبة، ثم ذكر الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وأنهم أصحاب الميمنة، ثم ختم سورة الشمس ببيان عاقبة المكذبين وهم الصنف الثاني الذي ذكر في سورة البلد، وضرب لهم مثلا بقوم ثمود الذين كذبوا.

يقول أبو حيان: « وَلَمَّا تَقَدَّمَ الْقَسَمُ بِبَعْضِ الْمَوَاضِعِ الشَّرِيفَةِ وَمَا بَعْدَهَا، أَقْسَمَ هُنَا بِشَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالْعَالَمِ وَالسُّفْلِيِّ، وَبِمَا هُوَ آلَةُ التَّفَكُّرِ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ النَّفْسُ.

وَكَانَ آخِرُ مَا قَبْلَهَا مُخْتَتَمًا بِشَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِ الْكُفَّارِ فِي الْآخِرَةِ، فَاخْتَتَمَ هَذِهِ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَفِي ذَلِكَ بِمَآلِهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى النَّارِ، وَفِي الدُّنْيَا إِلَى الْهَلَاكِ الْمُسْتَأْصِلِ [1]»

وأما مناسبتها لسورة الضحى فمن وجهين:

أولا: افتتاحهما بالقسم فالأولى افتتحت بالقسم بالشمس وضحاها وهذه افتتحت بالقسم بالضحى.

(١) البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) (١٠/ ٤٨٥).

ثانيا: تتحدث سورة الشمس عن النفوس عامة وتتحدث سورة الضحى عن أزكى نفس وأطهرها وهي نفس النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما المناسبة بين الشمس والضحى والليل فيقول ابن الزبير الغرناطي: «هذه الثلاثة حسنة التناسق جدًّا؛ لما في مطالعها من المناسبة؛ لما بين الشمس والليل والضحى من الملابسة[١]».

وبالجملة يقول السيوطي جامعا للمناسبات كلها:

«سورة الشمس والليل والضحى: أقول: هذه الثلاثة حسنة التناسق جدًّا؛ لما في مطالعها من المناسبة؛ لما بين الشمس والليل والضحى من الملابسة، ومنها سورة الفجر؛ لكن فصلت بسورة البلد لنكتة أهم، كما فصل بين الانفطار والانشقاق، وبين المسبحات؛ لأن مراعاة التناسب بالأسماء والفواتح وترتيب النزول، إنما يكون حيث لا يعارضها ما هو أقوى وآكد في المناسبة.

ثم إن سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد، فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، أراد الفريقين في سورة الشمس على سبيل الفَذْلَكَة[٢]، فقوله: [في الشمس] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ هم ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ في سورة البلد، وقوله: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [في الشمس] ، هم ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ في سورة البلد، فكانت هذه السورة فَذْلَكَة تفصيل تلك السورة؛ ولهذا قال الإمام: المقصود من هذه السورة: الترغيب في الطاعات، والتحذير من المعاصي.

(١) البرهان في تناسب سور القرآن (ص٣٦٤).

(٢) الفذلكة: هي في كلام العلماء يراد بها إجمال ما فصل أولا. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/ ١٢٦٤.

ونزيد في سورة الليل: أنها تفصيل إجمال سورة الشمس، فقوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ [الليل: ٥] وما بعدها، تفصيل ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩]، وقوله: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴾ [الليل: ٨] الآيات، تفصيل قوله: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ١٠].

ونزيد في سورة الضحى: أنها متصلة بسورة الليل من وجهين، فإن فيها: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [الليل: ١٣]، وفي الضحى: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [٤]، وفي الليل: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل: ٢١]، وفي الضحى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [٥].

ولما كانت سورة الضحى نازلة في شأنه – ﷺ – افتتحت بالضحى، الذي هو نور، ولما كانت سورة الليل نازلة في بخيل في قصة طويلة، افتتحت بالليل الذي هو ظلمة.

قال الإمام: سورة الليل سورة أبي بكر، يعني: ما عدا قصة البخيل، وكانت سورة الضحى سورة محمد، عقب بها، ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم ألا واسطة بين سيدنا محمد ﷺ وأبي بكرالصديق رضي الله عنه[1]»

فضائل السورة:

أما فضل السورة فعظيم فلها عدة فضائل وورد في ذلك عدة أحاديث:

الفضل الأول: أن النبي ﷺ جعلها من السور المستحب القراءة بها للتخفيف على الناس في الصلاة، حيث قال النبي ﷺ لمعاذ: يا معاذ، أفتان أنت ثلاثا! اقرأ والشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها» [2]،

(١) أسرار ترتيب القرآن لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) (ص١٥٩، وما بعدها).

(٢) صحيح البخاري أو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ =

ومنه حديث بُرَيْدَة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ «يقرأ في العشاء الآخرة بالشمس وضحاها، ونحوها من السور» (١).

الفضل الثاني: أن النبي ﷺ أمر بقراءتها في ركعتي الضحى: فقدَ أخرج الْبَيْهَقِيّ فِي شعب الإيمان عَن عقبَة بن عَامر قَالَ: أمرنَا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَن نصلي رَكْعَتي الضُّحَى بسورتين هما وَالشَّمْس وَضُحَاهَا، وَالضُّحَى(٢).

الفضل الثالث: أن النبي ﷺ كان يخصها بالقراءة في صلاة العيدين: فعن النعمانِ بنِ بَشيرٍ، قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يقرأ في العيدين بـ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ ، ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ (٣).

=

وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (٢٦،٢٧/٨)، صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١ هـ)، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء (١/ ٣٣٩ ت عبد الباقي).

(١) أخرجه الترمذي ـ واللفظ له ـ في سننه وقال حديث حسن. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي، (ت ٢٧٩هـ) ، أبواب الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في القراءة في صلاة العشاء (حديث رقم ٣٠٩) (٢/ ١١٤ ت شاكر)، وأخرجه الإمام أحمد في مسده. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١ هـ) (٣٨/ ٩٩) حديث رقم (٢٢٩٩٤).

(٢) رواه البيهقي في السنن الصغير بَابُ صَلَاةِ الضُّحَى. السنن الصغير لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، كتاب الصلاة ، باب صلاة الضحى (١/ ٢٩٨):

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير. المُعْجَمُ الكَبِير لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (حديث رقم ١٣٦) (ت ٣٦٠هـ)، (٢١/ ١١٦).

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقرأ في العيدين بـ ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ ، و ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ [1].

الفضل الرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف للدعاء عند مروره ببعض آياتها، فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ وقف، ثم قال: اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليُها ومولاها، وخيرُ من زَكَّاها[2].

وأما حديث أُبَيّ الذي ذكره الزمخشري وغيره[3] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الشمس، فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر»، فقد حكم عليه الفيروز أبادي بأنه مردود[4].

(١) رواه البزار في مسنده. مسند البزار المسمى باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (ت ٢٩٢ هـ)، (حديث رقم ٤٨٠٨)، (١١/ ٩٥)

(٢) المعجم الكبير للطبراني (حديث رقم ١١١٩١) (١١/ ١٠٦)، قال الهيمي : رواه الطبراني، وإسناده حسن. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ١٣٨.

(٣) تفسير الزمخشري المسمى الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لمحمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) (٤/ ٧٦١)، تفسير الثعلبي المسمى الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) (١٠/ ٢١٢)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي الواحدي(ت ٤٦٨هـ)، (٤/ ٤٩٤)، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (٩٨٢هـ) (٩/ ١٦٥).

(٤) بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٢٢).

وكذا حديث يا علىّ مَن قرأَ ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ فكأَنَّما قرأَ الزَّبور، وله بكلّ آية قرأَها ثواب مَن صلَّى بين الرّكن والمقام أَلفَ ركعة[١]، وحكم عليه الخطيب الشربيني بالوضع[٢].

مكية السورة وترتيبها في النزول:

سورة الشمس مكية، وسبقها في النزول سورة القدر، ونزل بعدها سورة البروج[٣].

وحكى الشوكاني: أنه لا خلاف في مكيتها[٤]، غير أن ابن الفرس ذكر أنها مدنية، ولكنه ذكره بلفظ قيل [٥].

قلت: وهو قول لا يلتفت إليه؛ لأنه انفرد به وجمهور المفسرين على مكيتها.

عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

كلمها أربع وخمسون كلمة، وحروفها مئتان وستة وأربعون، وقيل وسبعة وأربعون حرفا،

(١) بصائر ذوي التمييز أبادى (١/ ٥٢٢).

(٢) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ) (٤/ ٥٤٤).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) (١/ ١٩٣)، بصائر ذوي التمييز (١/ ٩٨)، تاريخ نزول القرآن (ص٢١١).

(٤) فتح القدير للشوكاني. فتح القدير المسمى الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) (٥/ ٥٤٥)، وينظر: تاريخ نزول القرآن (ص٢١١).

(٥) أحكام القرآن لابن الفرس (٣/ ٦٢٠).

وهي ست عشرة آية في المدني الأول[١]، ويقال في المكي كذلك، وخمس عشرة في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ ، عدها المدني الأول والمكي بخلاف عنه، ولم يعدها الباقون[٢].

اسم السورة وسبب تسميتها:

وأما اسمها: فتسمى سورة (والشمس) أو (الشمس)؛ لافتتاحها بالقسم بالشمس[٣]، واسمها في كتب السنة (والشمس وضحاها)[٤].

يقول البقاعي: واسمها "الشمس" واضح الدلالة على ذلك، بتأمل القسم والمقسم عليه، بما أعلم به، وأشار إليه[٥].

---

(١) المدني الأول هو ما رواه نافع عن شيخيه لكن اختلف أهل الكوفة والبصرة في روايته عن المدنيين. فأما أهل الكوفة فرووه عن أهل المدينة بدون تعيين أحد منهم. ورواه أهل البصرة عن ورش عن نافع عن شيخيه، وعدد آي القرآن في رواية الكوفيين عن أهل المدينة ٦٢١٧. وفي رواية أهل البصرة عن ورش ٦٢١٤، والذى اعتمده الإمام الشاطبي رواية أهل الكوفة، وقد تبع في ذلك الإمام الداني. الفرائد الحسان في عد آى القرآن ص ٢٦.

(٢) البيان في عد آي القرآن لعثمان بن سعيد أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) (ص٢٧٥)، وينظر: جمال القراء وكمال الإقراء لعلي بن محمد علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، (ص٣١٥ ط المأمون)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ) (ص٥٨٦)، بيان المعاني (١/ ٢٢١)، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، لعلي بن محمد الشهير بالخازن (ت٧٤١هـ) (٤/ ٤٣٢).

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١/ ٥٢٢)، مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، ويُسَمَّى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِمُسَمَّى"، لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) (٣/ ١٩٧).

(٤) تراجع الأحاديث الواردة في فضل السورة.

(٥) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (٣/ ١٩٧).

الوقف والابتداء في السورة:

التمام عند الأخفش ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ ، وعند أبي حاتم ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ ، وهو عنده على التقديم والتأخير: قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها والشمس وضحاها،

قال أبو جعفر: «وقد ذكرنا الغلط في مثل هذا وهو عند غيره على حذف اللام.

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ قطع صالح[١]، وكذا آخر الآيات إلى ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ فإنه تمام عند أبي حاتم، وخالفه إبراهيم بن محمد بن عرفه سأل من قرأ بالواو فتقديره: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَىٰهَا ﴾ أي في هذه الحال، والكلام متصل على هذا إلى آخر السورة، ومن قرأ بالفاء[٢] جاز على قوله أن يقف على ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ ، ثم يقول ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَىٰهَا ﴾ أي فلا يخاف الله جل وعز عقباها[٣]».

(١) ليس المراد هنا بـ (صالح) رجل، وإنما يعني معنى الكلمة وهي التي ضد فاسد، أي أن الوقف هنا صالح ومستقيم المعنى.

(٢) القراءة لنافع وابن عامر. الحجة للقراء السبعة ٦/ ٤٢٠، وسيأتي تفصيلها عن الآية (١٥).

(٣) القطع والائتناف لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨ هـ) (ص٨٠٦).

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ ﴾

القراءات:

قَرَأَ ابْن كثير وَابْن عَامر وَعَاصِم ﴿ وَضُحَىٰهَا ﴾ بِفَتْح أَوَاخِر آى هَذِه السُّورَة، وَسورَة اللَّيْل، وَسورَة الضُّحَى، وَقَالَ مُحَمَّد بن إِسْحَق عَن أَبِيه وَأحمد ابن صَالح عَن ورش وقالون: آياتها كلهَا مفتوحات.

وَقَرَأَ الكسائي بإضجاع [1] ذَلِك كُله، وإضجاع أَوَاخِر آى سُورَة اللَّيْلِ، وَسورَة الضُّحَى.

وَقَرَأَ حَمْزَة ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ و ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ كسرا، وَيفتح (تلها) و (طحآ)، وَيفتح في سُورَة الضُّحَى {سجى}، وفى النازعات (دحآ) وَيكسر سَائِر ذَلِك.

وَقَرَأَ نَافِع آياتها وآيات الضُّحَى والأعلى وَاللَّيْل وَمَا أشبهها بَين الْفَتْح وَالْكَسْر، وعنه أنه كان يبطحها [2] كلهَا إِلَّا (تلها) يفتحها وَحدهَا.

---

(١) الإضجاع هو: أن تقرب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء من غير قلب خالص، ولا إشباع مفرط، وهي الإمالة الكبري أو المحضة أو الخالصة. انظر الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، لعبد الفتاح بن عبد الغني (ت ١٤٠٣هـ) ص ١٤٠، شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع لعبد الفتاح بن عبد الغني (ت ١٤٠٣هـ) (ص٥١).

(٢) البطح: بمعنى الإضجاع والإمالة. انظر الوافي في شرح الشاطبية لعبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣هـ) ص ١٤٠،القراءات وأثرها في علوم العربية لمحمد سالم محيسن (ت ١٤٢٢هـ) (١/ ٩٧).

وعَن أَبى عَمْرو ذَلِك كُله بَين الْفَتْح وَالْكَسْر، وفي رواية عَبَّاس أن أَبَا عَمْرو قَرَأَ (وضحها) و (تلها) و (جلها) و (دحها) بِكَسْرِهَا كلهَا، وَقَرَأَ {وَالضُّحَى} و {سجى} و {قلى} بِكَسْرها.

وَقَالَ عبيد عَن عقيل عَن أَبى عَمْرو إِنَّه قَرَأَ آيَات ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ و (جلها) و (مَا أدْرك) بِالْيَاءِ فى الْقُرْآن كُله،﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [الْأَنْبِيَاء :٣٦] ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ ﴾ [النَّحْل: ٨٦] و ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ [النَّجْم: ١٨] بكسرهن فى الْقُرْآن كُله.

وَلم تأت عَن أَبى عَمْرو في سُورَة الَّيْلِ الإمالة كَمَا جَاءَ عَنهُ فى ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ (١).

وعلل أبو منصور هذه القراءات: بأن من فخَّم هذه الألفات كلها؛ فلأن التفخيم هي لغة أهل الحجاز القديمة، ومن قرأها بين الفتح والكسر فلأن ذوات الياء كثرت فيها، فأتبعها ذوات الواو؛ لتتواطأ الفواصل كلها على نسقٍ واحد، وذوات الياء الإمالة أولى بها؛ لأن الياءات أخوات الكسرة، ومن فَخم (تَلَاهَا) و (طَحَاهَا) و (دَحَاهَا) فلأنها من ذوات الواو، وكسر باقي السورة؛ لأنها من ذوات الياء(٢).

(١) السبعة في القراءات لأحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ (ص٦٨٨: ٦٨٩)، الحجة للقراء السبعة ، للحسن بن أحمد الفارسيّ أبي علي (ت ٣٧٧هـ) (٤١٨/٦، ٤١٩)، العنوان في القراءات السبع لإسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ (ت ٤٥٥هـ) (ص٢١٠).

(٢) معاني القراءات لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت ٣٧٠هـ) (٣/ ١٤٩).

وعلل ابن خالويه قراءتي حمزة والكسائي بعد ذكره قراءتهما بالإمالة بأنَ حمزةَ كَانَ يفتح ذوات الواو منها خاصة «تلاها»؛ لأنها من تلوت و «سَجا»؛ لأنَّه من سجوت، و «طَحا»؛ لأنَّه من طحوت، فأُلزِمَ أن يقرأ: «ضحا» بالفتح؛ لأنَّه من ذوات الواو لقولك: ضَحو.

ولكن الكسائي وأهل العربية ذكروا: أن رءوس الآي إِذَا جاورت ذوات الياء ذوات الواو أميلت كلُّها، ولحمزةَ حجَّةٌ فِيْ فرقة بين «تلا» و «ضحا»، وإن كانا من ذَوات الواوِ؛ لأن أهل الكوفة ذَكروا أن ذوات الواو نحو «ضُحى»، و «عِدى» فِيْ جمع عدوٍّ، ونحوهما يكتب بالياء، ويثنى بالياء لانكسار فاء الفعل في عدى، وضمها فِيْ ضُحى.

وقال أهل البصرة لا يعتل آخر الاسم لأوله، ولا يجيزون كتب ضحا إلا بالألف[1].

التفسير

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾: أقسم الله تعالى بـ (الشَّمْسِ) إما على التنبيه منها، وإما على تقدير: ورب الشمس[2].

والضُّحَى: انبساطُ الشمس وامتداد النهار، وسمّي الوقت به[3]، وقيل: الضحوة ارتفاع النهار، والضحى فوق ذلك،

---

(١) إعراب القراءات السبع وعللها لأبي محمد ابن خالويه النحوي (ت ٣٧٠ هـ) (ص٥٢١): الحجة للقراء السبعة (٦/ ٤١٩):

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) ، ل عبد الحق بن غالب بن عطية (ت: ٥٤٢هـ) (٥/ ٤٨٧)، وينظر: بحر العلوم (تفسير السمرقندي) لنصر بن محمد السمرقندي(ت:٣٧٣هـ). (٣/ ٥٨٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) (١٢/ ٨٢٨٩).

(٣) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) (ص٥٠٢).

والضحاء بالفتح والمد: إذا امتد النهار وقرب أن ينتصف[١]، وهي: مؤنثة مقصورة، فإذا ارتفع النهار قيل: الضحاء، فتح الضاد والمد مذكر[٢]

وفي اللسان: «الضح: الشمس، وقيل: هو ضوؤها، وقيل: هو ضوؤها إذا استمكن من الأرض، وقيل: هو قرنها يصيبك، وقيل: كل ما أصابته الشمس ضح؛ وفي الحديث: لا يقعدن أحدكم بين الضح والظل؛ فإنه مقعد الشيطان[٣] أي نصفه في الشمس ونصفه في الظل [٤]».

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ وَضُحَىٰهَا ﴾ ، فقيل الضحى: هو النهار فيكون المعنى والشمس والنهار، أو والشمس ونهارها. رواه الطبري وابن عطية كلاهما عن قتادة [٥]، وحكى النحاس أن المعروف في اللغة أن الضحى أول طلوع الشمس إذا أشرقت[٦].

وقيل: الضحى هو الضوء، والمعنى: والشمس وضوئها. رواه الطبري[٧]، وقيل حر الشمس يسمى ضحى[٨] حكاه الثعلبي عن مقاتل،

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٥٨).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٨٩).

(٣) مسند أحمد (٢٤/ ١٤٧) بمعناه، قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير كثير ابن أبي كثير وهو ثقة. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) (٨/ ٦٠).

(٤) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور المصري (ت: ٧١١هـ) (٢/ ٥٢٤).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) (٢٤/ ٤٥١)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٧).

(٦) إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ)، (٥/ ١٤٥)

(٧) جامع البيان (٢٤/ ٤٥١).

(٨) بحر العلوم (٣/ ٥٨٥).

وجعله كقوله في طه: ﴿ وَلَا تَضۡحَىٰ ﴾ (١١٩) بمعنى: ولا يؤذيك الحر[١].

قال الرازي: «فمن قال من المفسرين: في ضحاها: ضوؤها فهو على الأصل، وكذا من قال: هو النهار كله؛ لأن جميع النهار هو من نور الشمس، ومن قال: في الضحى: إنه حر الشمس؛ فلأن حرها ونورها متلازمان، فمتى اشتد حرها فقد اشتد ضوؤها وبالعكس، وهذا أضعف الأقوال[٢]».

قال الطبري: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم جلّ ثناؤه بالشمس ونهارها؛ لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار[٣]»

والتقدير في القسم ورب الشمس، وفي هذا القول خلاف بين العلماء:

واحتج المعارضون لهذا المذهب، بأن في جملة القسم هنا قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ وذلك هو الله تعالى، فيلزم أن يكون المراد، ورب السماء وربها، وذلك كالمتناقض،

وحكى الرازي أن القاضي أجاب عنه بأن قوله: ﴿ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ لا يجوز أن يكون المراد منه هو الله تعالى؛ لأن (ما) لا تستعمل في خالق السماء إلا على ضرب من المجاز؛ ولأنه لا يجوز منه تعالى أن يقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه؛ ولأنه تعالى لا يكاد يذكر مع غيره على هذا الوجه، فإذا لا بد من التأويل، وهو أن (ما) مع ما بعده في حكم المصدر، فيكون

---

(١) الكشف والبيان (٢٩/ ٤١٧)، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٠هـ) (٨/ ٤٣٥)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٧).

(٢) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٤).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٤٥١).

التقدير: والسماء وبنائها، وساق اعتراض صاحب «الكشاف» عليه بأن: لو كان الأمر على هذا الوجه لزم من عطف قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ [الشمس: ٨] عليه فساد النظم(١)،

ورجح الزمخشري أن تكون موصولة، وإنما أوثرت على (من) لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها(٢).

ولم يرتض الشوكاني أن يكون في الكلام حذف مضاف فقال: «وقال قوم: إن القسم بهذه الأمور ونحوها مما تقدم، ومما سيأتي هو على حذف مضاف، أي: ورب الشمس، ورب القمر، وهكذا سائرها، ولا ملجئ إلى هذا ولا موجب له(٣)».

وفي سبب القسم بالشمس وضحاها يقول الرازي: «واعلم أنه تعالى إنما أقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما تعلق بها من المصالح، فإن أهل العالم كانوا كالأموات في الليل، فلما ظهر أثر الصبح في المشرق صار ذلك كالصور الذي ينفخ قوة الحياة، فصارت الأموات أحياء، ولا تزال تلك الحياة في الازدياد والقوة والتكامل، ويكون غاية كمالها وقت الضحوة، فهذه الحالة تشبه أحوال القيامة، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها(٤)».

(١) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٣).

(٢) الكشاف (٤/ ٧٥٩)، وينظر: لباب التأويل (٤/ ٤٣٣)، تفسير النيسابوري المسمى غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ) (٦/ ٥٠٧).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٤٥).

(٤) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٤)

﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ ﴾

يقول تعالى ذكره: والقمر إذا تبع الشمس، وَهُوَ قَول مُجَاهِد وَقَتَادَة وَعَامة الْمُفَسّرين، وَهُوَ مَرْوِيّ أَيْضا عَن ابْن عَبَّاس[1].

وخص الطبري ذلك بالنصف الأوّل من الشهر، إذا غُربت الشمس، تلاها القمر طالعا، وروى عن مجاهد ﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ قال: تبعها، وعن قتادة ﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ يتلوها صبيحة الهلال فإذا سقطت الشمس رُؤي الهلال[2].

وذكر السمعاني في وقت هذا التلو أقوالا فقال: «وَمعنى تبعها: يَعْنِي أَن الشَّمْس إِذا غربت يَليهَا الْقَمَر فِي الضَّوْء، وَيُقَال: هُوَ فِي الْأَيَّام الْبيض إِذا غربت الشَّمْس طلع الْقَمَر[3]، وذكر النحاس أن الفرّاء قد حكى أن معنى تلاها أخذ منها، يذهب إلى أن القمر أخذ من ضوء الشمس [4].

وما رجحه ابن عطية أن هذا الاتباع من القمر للشمس لا يختص بوقت فقال: «قال القاضي أبو محمد: فهذا اتباع لا يختص بنصف أول من الشهر ولا بآخره[5] ».

(١) تفسير القرآن (تفسير السمعاني) ، لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت: : ٤٨٩هـ) (٦/ ٢٣٢)

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٢)، وينظر: الكشف والبيان (٢٩/ ٤١٧)، بحر العلوم (٣/ ٥٨٥).

(٣) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٢)، وينظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٣٥)

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٥)

(٥) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٧).

﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ ﴾

﴿ وَٱلنَّهَارِ﴾: ظاهر هذه السورة والتي بعدها أنه من طلوع الشمس، وكذلك قال الزجاج في كتاب الأنواء وغيره: واليوم من طلوع الفجر، ولا يختلف أن نهايتهما مغيب الشمس(١).

﴿ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ أي: إذا أضاء، وقيل: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ إذا بين الشمس؛ لأنها تبين إذا انبسط النهار(٢)، وقيل: " جلاها "، أي: جلى الدنيا وقيل: جلى الأرض(٣)، وعن الكلبي معناه إذا جلى النهار ظلمة الليل(٤).

وذكر السمعاني جلى الظلمة أو جلى الشمس(٥) وذكر الزمخشري ـ بلفظ قيل ـ إن الضمير للظلمة، أو للدنيا، أو للأرض(٦).

وجعل الرازي الثلاثة الأخيرة قولا للجمهور(٧).

وفي تلك النسبة نظر؛ يدل عليه الخلاف الآتي في كون الظلمة هنا مرادة أم لا؟

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٧)، تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) (٥/ ٥٩٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت : ٣١١هـ) (٥/ ٣٣٢).

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩١).

(٤) بحر العلوم (٣/ ٥٨٥)، وينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩١)، معالم التنزيل (٨/ ٤٣٥).

(٥) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٢).

(٦) الكشاف (٤/ ٧٥٨)، وينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٧، ٤٨٨)

(٧) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٥).

واستبعاد ابن جزي له حيث قال: «وهذا كله بعيد لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه»، ووافقه السيوطي[1].

والفاعل بـ (جلّى) على هذا التأويلات النَّهارِ، ويحتمل أن يكون الفاعل الله تعالى كأنه قال: والنهار إذا جلى الله الشمس، فأقسم بالنهار في أكمل حالاته.

واختلف العلماء في جواز معنى والنهار إذا جلى الظلمة؛ حيث لم يرد لها ذكر من قبل في الآية:

فحكى الثعلبي عن الفراء وجماعة من العلماء يعني: والنهار إذا جلى الظلمة، فجازت الكناية عن الظلمة ولم تذكر؛ لأن معناها معروف، ألا ترى أنك تقول: (أصبحت باردة)، (وأمست عاصفة)، وهبت شمالاً، فتُكني عن مؤنثات لم يجر لهن ذكر؛ لأن معناهن معروف[2]، وبنحوه قال الزجاج[3].

وقال النحاس: «الظاهر من معناه والبيّن إذا جلّى الشّمس أي إذا أظهرها وأبداها؛ لأن الشمس لا تكون إلّا فيه ، وحكى أن الفرّاء قد قال: والنهار إذا جلّى الظلمة، وتعقبه بأنه قول بعيد؛ لأن الظلمة لم يتقدّم لها ذكر»، وبنحوه قال مكي[4].

(١) تفسير ابن جزي المسمى التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ) (٢/ ٤٨٦)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، (٣/ ٣٥٧).

(٢) الكشف والبيان (٢٩/ ٤١٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٢).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٥)، وينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩١).

ولم يرتض الطبري ذلك أيضا وضعفه فقال: «وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة، ويجعل الهاء والألف من جلاها كناية عن الظلمة، ويقول: إنما جاز الكناية عنها، ولم يجز لها ذكر قبل؛ لأن معناها معروف، كما يعرف معنى قول القائل: أصبحت باردة، وأمست باردة، وهبَّت شمالا فكني عن مؤنثات لم يجر لها ذكر، إذ كان معروفا معناهن.

والصواب عندنا في ذلك: ما قاله أهل العلم الذين حكينا قولهم؛ لأنهم أعلم بذلك، وإن كان للذي قاله من ذكرنا قوله من أهل العربية وَجْهٌ[١]».

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ ﴾

غشي: غشي الليل، كرضي: أظلم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ [البلد: ٥]؛ وأغشى كذلك[٢].

واختلف العلماء في على ما يعود الضمير في قوله ﴿ يَغۡشَىٰهَا ﴾ ، هل يعود على الأرض أم يعود على الشمس؟

فذكر النحاس عوده على الشمس[٣]، وبدأ به السمرقندي وذكر عوده على الأرض بصيغة التضعيف (يُقال)[٤] ، وجعله ابن عطية للشمس على تجوز، وبدأ بالقول بأنها للأرض[٥]، وذكر الرازي أن الضَّمِيرَ فِي

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٢، ٤٥٣).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) (٣٩/ ١٦٧).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٥).

(٤) بحر العلوم ٣/ ٥٨٥.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٨٨).

﴿ يَغۡشَىٰهَا ﴾ لِلشَّمْسِ بِلَا خِلَافٍ؛ وعلل ذلك بأنه حَتَّى يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي الْفَوَاصِلِ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إلى هاهنا لِلشَّمْسِ[1].

وجعله أبو حيان للشمس، ونسبته لليل مجاز، وذَكر عوده على الأرض بـ (قيل)، وذكر أن الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْفَصَاحَةُ أَنْ الضَّمَائِرَ كُلَّهَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَغۡشَىٰهَا ﴾ عَائِدَةٌ عَلَى الشَّمْسِ، وَكَمَا أَنَّ النَّهَارَ جَلَّاهَا، كَانَ النَّهَارُ هُوَ الَّذِي يَغْشَاهَا[2].

وذكر القرطبي أنه يغشى الشمس، وذكر بلفظ قيل إنه: يَغْشَى الدُّنْيَا بِالظُّلَمِ، فَتُظْلِمُ الآفاق، فتكون الكناية راجعة إلى غير مذكور[3].

فعلى كون الضمير راجع للشمس يكون المعنى: والليل إذا يغشي الشمس، حتى تغيب فَتُظْلِمُ الآفَاقُ [4]، ونسبه القرطبي لمجاهد وغيره ولم يسمهم.

وعلى كون الضمير راجع للشمس يكون معنى ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ يعني: غطى الأرض وسترها[5]

وأما عن كون هذه الأقسام بالشمس حقيقة أم بحسب أوصافها؟

فيقول القفال: وهذه الأقسام الأربعة ليست إلا بالشمس في الحقيقة، لكن بحسب أوصاف أربعة:

---

(١) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٥).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٦).

(٣) تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ) (٢٠/ ٧٤).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٤/ ٤٥٣)، الكشف والبيان (٢٩/ ٤١٨)، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩١)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٦).

(٥) بحر العلوم (٣/ ٥٨٥).

أولها: الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار، وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان واضطراب الناس للمعاش،

ومنها: تلو القمر لها وأخذه الضوء عنها، ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجيء النهار،

ومنها: وجود خلاف ذلك بمجيء الليل، ومن تأمل قليلا في عظمة الشمس ثم شاهد بعين عقله فيها أثر المصنوعية والمخلوقية من المقدار المتناهي، والتركب من الأجزاء انتقل منه إلى عظمة خالقها، فسبحانه ما أعظم شأنه[١]

وسبب المجيء ب «يَغْشَاهَا» مضارعاً دون ما قبله؛ لأن فيه مراعاة الفواصل؛ إذ لو أتى به ماضياً لفاتت المناسبة اللفظية بين الفواصل.

يقول أبو حيان: «ولما كانت الفواصل ترتبت على ألف وهاء المؤنث، أتى والليل إذا يغشاها بالمضارع، لأنه الذي ترتب فيه. ولو أتى بالماضي، كالذي قبله وبعده، كان يكون التركيب إذا غشيها، فتفوت الفاصلة، وهي مقصودة[٢]».

(١) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٥)، وينظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٦).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٦)، وينظر: تفسير ابن عادل المسمى اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي (ت ٧٧٥هـ) (٢٠/ ٣٥٩)، تفسير السمين الحلبي المسمى الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) (١١/ ١٨).

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ ﴾

قال: الطبري: بناؤه إياها: تصييره إياها للأرض سقفا، وروى عن قتادة ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ قال: وبناؤها: خَلْقُها[1].

ويقال: بَنَيْتُ أَبْنِي بِنَاءً وبِنْيَةً وبِنًى، قال عزّ وجلّ: ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ: ١٢].

والبِنَاء: اسم لما يبنى بناء، والبَنِيَّة يعبر بها عن بيت الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [الذاريات: ٤٧] ،﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ [٢]، وهي في موضع خفض كما صرح النحاس[٣].

وفي فائدة ذكر هذه الآية بعد ما سبقها من الآيات، وعلاقتها بهم يقول الرازي: «ما الفائدة في قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ ؟

الجواب: أنه سبحانه لما وصف الشمس بالصفات الأربعة الدالة على عظمتها، أتبعه ببيان ما يدل على حدوثها وحدوث جميع الأجرام السماوية، فنبه بهذه الآية على تلك الدلالة؛ وذلك لأن الشمس والسماء متناهية، وكل متناه فإنه مختص بمقدار معين.

مع أنه كان يجوز في العقل وجود ما هو أعظم منه، وما هو أصغر منه، فاختصاص الشمس وسائر السماويات بالمقدار المعين، لا بد وأن يكون لتقدير مقدر وتدبير مدبر، وكما أن باني البيت يبنيه بحسب مشيئته، فكذا مدبر الشمس وسائر السماويات قدرها بحسب مشيئته، فقوله: ﴿ وَمَا

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص١٤٧)، وينظر: تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم)، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) (٨/ ٤١١) .

(٣) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٥).

بَنَٰهَا ﴾ كالتنبيه على هذه الدقيقة الدالة على حدوث الشمس وسائر السماويات[١]».

واختلف في (ما) هنا عل قولين:

الأول: أنها بمعنى (من) أي: ومن بناها ومن طحاها ومن سواها، «وضعت "ما" موضع "مَنْ" كما قال ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد: ٣]، فوضع "ما" في موضع "مَنْ" ومعناه، ومَن ولد؛ لأنه قَسَمٌ أقسم بآدم وولده،

وكذلك: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٢٢]، وقوله: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ ﴾ [النساء: ٣]، وإنما هو: فانكحوا مَنْ طاب لكم، وجائز توجيه ذلك إلى معنى المصدر، كأنه قال: والسماء وبنائها، ووالد وولادِته»[٢].

وعلل الرازي التعبير بقوله: ﴿ وَمَا بَنَٰهَا ﴾ دون: ومن بناها، من وجهين:

الأول: أن المراد هو الإشارة إلى الوصفية، كأنه قيل: والسماء وذلك الشيء العظيم القادر الذي بناها، ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها،

والثاني: أن ما تستعمل في موضع من كقوله: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٢٢] والاعتماد على الأول[٣].

(١) مفاتيح الغيب (٣١/١٧٥، ١٧٦).

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٣).

(٣) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٦).

والثاني من الأقوال في "ما": أنها مصدرية، وتقديره: والسماء وبنائها، والأرض وطحوها ونفسٍ وتسويتها،

وقد نُسب ابن خالويه القول الأول ـ أن "ما" بمعنى "من" لأبي عبيدة، وجعل القول الثاني ـ أن "ما" مصدرية اختيار المبرد(١).

وذكر الثعلبي القولين، ومثل للثاني بقوله تعالى ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ (٢)

وذكر كل من أبي الحسن المجاشعي، والأصبهاني القولين، ولم يمثلا لهما بآيات من القرآن الكريم(٣).

وذكر ابن عطية أن الآية محتملة للقولين، ونسب الأول لأبي عبيدة والحسن ومجاهد؛ معللا ذلك بأن (ما)، تقع عامة لمن يعقل ولما لا يعقل، فيجيء القسم بنفسه تعالى، والثاني ـ أنها مصدرية ـ لقتادة والمبرد والزجاج(٤)، وزاد أبو حيان في القول بالمصدرية أنه قَوْلُ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أن (ما) لا تقع عَلَى آحَادِ أُولِي الْعِلْمِ(٥).

وفي كون (ما) بمعنى الذي يقول المنتجب الهمذاني : «وقال بعضهم: (ما) بمعنى الذي، ومعنى هذا أن (ما) أشبهت الذي في الإبهام،

(١) إعراب القراءات السبع وعللها (ص٥٢١).
(٢) الكشف والبيان (٢٩/ ٤١٨، ٤١٩)
(٣) النكت في القرآن الكريم أو (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، لعلي بن فَضَّال المُجَاشِعِي (ت ٤٧٩هـ) (ص٥٥٧)، إعراب القرآن لإسماعيل بن محمد الأصبهاني(ت ٥٣٥هـ) (ص٥٢٤):
(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨)، وينظر: تفسير ابن الجوزي المسمى زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) (٤/ ٤٥٠).
(٥) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٦).

وفي كونها موصولة، (والذي) يصلح لذي العلم ولغيره فكذلك (ما)، وهذا المراد بقولهم: إن (ما) هنا بمعنى (الذي) فاعرفه[١]».

ولم يرتض الزمخشري أن تكون (ما) مصدرية؛ لأنه يؤدي إلى فساد النظم، وجعلها موصولة، وأنها أوثرت على (من) لإرادة معنى الوصفية، فقال: «جُعلت «ما» مصدرية في قوله ﴿ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ ﴿ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ ﴿ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ ، وليس بالوجه لقوله فَأَلْهَمَهَا وما يؤدى إليه من فساد النظم.

والوجه أن تكون موصولة، وإنما أوثرت على (من) لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها، ونفس، والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، وفي كلامهم: سبحان ما سخركن لنا[٢]».

ومعنى كلام الزمخشري: أنَّ الفاعلَ في ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ يعود على اللَّهِ تعالى، فليكُنْ في ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ كذلك، حتى يَلْزَمُ أن يعود الضمير على شيءٍ، وليس هنا ما يمكنُ أن يعود عليه غيرُ (ما) فتعيَّنَ أَنْ تكونَ موصولةً.

وقد وضح أبو حيان قول الزمخشري ورد عليه فقال: «أما قوله: وليس بالوجه لقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ ، يعني من عود الضمير في ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ على الله تعالى، فيكون قد عاد على مذكور، وهو ما المراد به الذي، ولا يلزم ذلك لأنا إذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام، ففي ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ ضمير عائد على الله تعالى، أي وبناها هو، أي الله

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمذاني (ت٦٤٣ هـ) (٦/ ٤٠٦).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٥٩).

تعالى، كما إذا رأيت زيدا قد ضرب عمرا فقلت: عجبت مما ضرب عمرا تقديره: من ضرب عمر؟ وهو كان حسنا فصيحا جائزا، وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثير، وقوله: وما يؤدي إليه من فساد النظم ليس كذلك، ولا يؤدي جعلها مصدرية إلى ما ذكر، وقوله إنما أوثرت إلخ لا يراد بما ولا بمن الموصولتين معنى الوصفية؛ لأنهما لا يوصف بهما، بخلاف الذي، فاشتراكهما في أنهما لا يؤديان معنى الوصفية موجود فيهما، فلا ينفرد به ما دون من،

وقوله: وفي كلامهم إلخ. تأوله أصحابنا على أن سبحان علم وما مصدرية ظرفية»[1].

وقد حكى السمين قول الزمخشري ووضحه، وذكر رد أبي حيان عليه، ثم استدرك على أبي حيان ولم يرتض رده على الزمخشري فقال:

«أمَّا ما رَدَّ به عليه مِنْ كونِه يعود على ما يُفْهَمُ من السِّياق فليس يَصْلُح رَدّاً؛ لأنه إذا دار الأمرُ بين عَوْدِه على ملفوظٍ به وبينَ غيرِ ملفوظٍ به فعَوْدُه على الملفوظِ به أولى؛ لأنَّه الأصلُ.

وأمَّا قولُه: فلا تنفرد به «ما» دونَ «مَنْ»: فليس مرادُ الزمخشري أنها تُوْصَفُ بها وصْفاً صريحاً، بل مُرادُه أنها تقعُ على نوعِ مَنْ يَعْقل، وعلى صفتِه؛ ولذلك مَثَّل النَّحْويون ذلك بقوله: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمۡ﴾ [النساء: ٣] ، وقالوا: تقديره: فانْكِحُوا الطيِّبَ مِنْ النساءِ، ولا شكَّ أن هذا الحكمَ تَنْفَرِدُ به (ما) دون (مَنْ)[2]».

وأما الرازي فقد ذكر قول الزمخشري في فساد المعنى المترتب على القول بمصدرية (ما)، وأن القاضي ذكر: أنه لو كان هذا قسما بخالق

(١) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٧).

(٢) الدر المصون (١١/ ١٩).

السماء، لما كان يجوز تأخيره عن ذكر الشمس، وعقب عليه بأنه إشكال جيد، ثم رد على ذلك فقال:

«والذي يخطر ببالي في الجواب عنه: أن أعظم المحسوسات هو الشمس، فذكرها سبحانه مع أوصافها الأربعة الدالة على عظمتها، ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلاثة وهي تدبيره سبحانه للسماء والأرض وللمركبات، ونبه على المركبات بذكر أشرفها وهي النفس،

والغرض من هذا الترتيب هو أن يتوافق العقل والحس على عظمة جرم الشمس، ثم يحتج العقل الساذج بالشمس، بل بجميع السماويات والأرضيات والمركبات على إثبات مبدئ لها، فحينئذ يحظى العقل هاهنا بإدراك جلال الله وعظمته على ما يليق به، والحس لا ينازعه فيه.

فكان ذلك كالطريق إلى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى يفاع عالم الربوبية، وبيداء كبرياء الصمدية، فسبحان من عظمت حكمته وكملت كلمته[١]».

وقد وضح الرازي أيضا السبب في أنه تعالى ذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الأشياء فسأل سؤالا وأجاب عنه فقال: «لم ذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الأشياء الثلاثة وهي السماء والأرض والنفس؟

والجواب: لأن الاستدلال على الغائب لا يمكن إلا بالشاهد، والشاهد ليس إلا العالم الجسماني وهو قسمان بسيط ومركب، والبسيط قسمان: العلوية وإليه الإشارة بقوله: والسماء والسفلية وإليه الإشارة بقوله: (وَٱلۡأَرۡضِ) والمركب هو أقسام، وأشرفها ذوات الأنفس وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [٢]».

(١) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٥)

(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٦)

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦ ﴾

﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾: أي بسطها، يقال: حي طاح؛ أي كثير متسع، والطحو: كالدحو، وهو بسط الشيء والذهاب به ، قال الشاعر:

طَحا بِكَ قَلبٌ في الحِسانِ طَروبُ [1]

أي: ذهب[2]

وفي اللسان: « طَحَاه طَحْواً وطُحُوّاً: بَسَطَهُ، وطَحَى الشيء يَطْحِيه طَحْياً: بسطه أيضا،

الأزهري: الطَّحْو كالدحو، وهو البسط، وفيه لغتان طَحَا يَطْحُو وطَحَى يَطْحَى. والطَّاحِي: المنبسط، وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾

قال الفراء: طحاها ودحاها واحد، قال شمر: معناه ومن دحاها فأبدل الطاء من الدال، قال: ودحاها وسعها. وطحوته مثل دَحَوْته: أَي بَسَطْته[3] ».

(١) هذا صدر بيت لعلقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس، وعجز البيت: بُعَيدَ الشَبابِ عَصرَ حانَ مَشيبُ. ينظر: المفضليات للمفضل بن محمد الضبي (ت نحو ١٦٨هـ) (ص٣٩٠)، الشعر والشعراء لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) (١/ ٢١٥).

(٢) ينظر: تفسيرغريب القرآن أو غريب القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) (ص٥٢٩)، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، لمحمد بن عُزير السجستاني (ت:٣٣٠هـ) (ص٣٢٠)، المفردات في غريب القرآن (ص٥١٧)، الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ) (٤/ ١١٦٢).

(٣) لسان العرب (١٥/ ٤).

وورد في معنى طحاها عند المفسرين عدة أقوال رواها الطبري:

فعن ابن عباس يقول: ما خلق فيها وعن مجاهد قال: دحاها، وعن ابن زيد: بَسَطَها، وعن ابن عباس يقول: قسمها[١]، واقتصر النحاس على قولين الأول: عن أبي صالح طحاها بسطها، والثاني: عن ابن أبي طلحة عن ابن عباس طحاها قسمها[٢].

وذكر السمرقندي أن معناها: والذي بسطها على الماء من تحت الكعبة[٣]، ونسبه الرازي لعطاء والكلبي[٤].

وعامة المفسرين على القول بأن المعنى: بسطها، هكذا ذكر القرطبي، وروى عن الْحَسَن وَمُجَاهِد وَغَيْرهمَا: طَحَاهَا وَدَحَاهَا: وَاحِدٌ: أَيْ بسطها[٥].

وروى ابن كثير عن مجاهد، وقتادة والضحاك، والسدي، والثوري، وأبي صالح، وابن زيد: {طحاها}: بسطها، ثم قال: وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة[٦].

وبدأ الشوكاني في مَعْنَى طَحَاهَا: بالقول بأنه بَسَطَهَا، ونسبه لعامة الْمُفَسِّرِينَ، ثم ذكر بعده عدة أقوال م قال: وَالْأَوَّلُ أَوْلَى[٧].

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٤).
(٢) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٥).
(٣) بحر العلوم (٣/ ٥٨٥).
(٤) التفسير الكبير (٣١/ ١٧٦).
(٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ٧٤، ٧٥).
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كير(٨/ ٤١١).
(٧) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٤٦، ٥٤٧).

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ ﴾

﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾: عدّل خلقها[١].

والتسوية: اعْتِدَال الْقَامَة[٢]، عدل خلقها وسوى أعضاءها[٣]، ونسب قريبا منه كل من القرطبي وابن عادل لمجاهد[٤].

وقيل تسويتها: إكمال عقلها ونظرها؛ ولذلك ربط الكلام بقوله تعالى: ﴿فَأَلۡهَمَهَا ﴾ الآية، فالفاء تعطي أن التسوية هي هذا الإلهام[٥].

وقد أقسم اللَّه – عزَّ وجلَّ – بهذه الأشياء العظام من خلقه لأنها تدل على أَنه واحِدٌ، والذي ليس كمثله شيء[٦]، وعلل القرطبي هذا القسم فقال: أَقْسَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِخَلْقِهِ لِمَا فِيهِ مِنْ عَجَائِبِ الصنعة الدالة عليه[٧].

وفسر ابن كثير قوله تعالى ﴿ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ أي: خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، ومثلها بقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الروم: ٣٠]،

(١) الكشف والبيان (٢٩/ ٤١٩).
(٢) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٢).
(٣) معالم التنزيل (٨/ ٤٣٨).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٥).
(٥) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨).
(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٢).
(٧) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٥).

واستدل على قوله بحديث رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ "(١).

ثم ذكر رواية في صحيح مسلم من رواية عياض بن حمار المجاشعي، عن رسول الله ﷺ قال: "يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم" (٢) (٣).

أما النفس التي أقسم الله بها هي مختلف فيها عند العلماء:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، عن أبي هريرة بلفظه (حديث رقم ١٣٨٥) (٢/ ١٠٠)، وبمعناه أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٤/ ٢٠٤٧).

بهيمة جمعاء أي سليمة من العيوب سميت بذلك لاجتماع سلامة أعضائها. غريب الحديث – لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) (١/ ١٧١)

وقوله: «هل تحسون فيها من جدعاء» أي مقطوعة الأطراف، أو واحدها.

ومعنى الحديث: أن المولود يولد على نوع من الجبلة، وهي فطرة الله تعالى وكونه متهيئا لقبول الحق طبعا وطوعا، لو خلته شياطين الإنس والجن وما يختار لم يختر غيرها، فضرب لذلك الجمعاء والجدعاء مثلا. يعني أن البهيمة تولد مجتمعة الخلق، سوية الأطراف، سليمة من الجدع، لولا تعرض الناس إليها لبقيت كما ولدت سليمة. النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات ابن محمد الجزري (ت: ٦٠٦هـ) (١/ ٢٤٧).

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٤/ ٢١٩٧).

جَولة بفتح الجيم: أي انكشاف وذهاب عن مكانهم ومنه قوله فاجتالتهم عن دينهم يعني الشياطين أي استخفتهم فذهبت بهم وساقتهم إلى ما أرادوه منهم وجالوا معهم» مشارق الأنوار على صحاح الآثار لعياض بن موسى بن عياض (ت ٥٤٤هـ) (١/ ١٦٥)، وينظر: الغريبين في القرآن والحديث (١/ ٣٨٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كير(٨/ ٤١١).

فقيل هي نفس أبينا آدم عليه السلام، وجعلها الزمخشري كأنه قال: وواحدة النفوس[١]، ونسبه ابن الجوزي للحسن[٢].

والثاني: أن المراد هو كل نفس، والتنكير للتكثير على طريقة قوله تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ [التكوير: ١٤] هكذا ذكر الزمخشري[٣]، وعبر عنها ابن عطية بأنها اسم جنس[٤]، ونسبه كل من البغوي وابن الجوزي كلاهما لعطاء[٥].

وذكر القولين بتعليلهما كل من النسفي[٦]، والشوكاني وفسر الأخير عموم النفس بأنها جَمِيعَ مَا خَلَقَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ونسبه لعطاء[٧].

وللخازن تفسير آخر لم يذكر فيه أن المراد بالنفس آدم، وإنما ذكر أن النفس هنا: إما يراد بها الجسد؛ فيكون المعنى: عدل خلقها وسوى أعضاءها، أو أن النفس هنا: هي المعنى القائم بالجسد؛ فيكون معنى ﴿سَوَّىٰهَا ﴾: أعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة، والسامعة والباصرة، والمفكرة، والمخيلة وغير ذلك من العلم، والفهم، وذكر في سبب التنكير أنه

(١) الكشاف (٤/ ٧٥٩).
(٢) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١).
(٣) الكشاف (٤/ ٧٥٩).
(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨).
(٥) معالم التنزيل (٨/ ٤٣٨)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١).
(٦) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت: ٧١٠هـ) (٣/ ٦٤٨).
(٧) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٤٧).

أراد بها النّفس الشّريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه، وهي نفس جميع من خلق من الإنس والجن[١].

ورجح الكلبي أن المراد بالنفس هنا الجنس فقد قال عنه هو المختار[٢]، وجعل أبو السعود أن القول بالتكثير هو الأنسب للجواب[٣].

وكذلك رجح أبو حيان أنها للجنس بدليل قوله ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ ، وحكى ذكر الزمخشري للوجهين ثم علق على القول بأنها نفس آدم بأن فيه بُعدا فقال:

« ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾: اسم جنس، ويدل على ذلك ما بعده من قوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ وما بعده،

وتسويتها: إكمال عقلها ونظرها، ولذلك ارتبط به ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ ؛ لأن الفاء تقتضي الترتيب على ما قبلها من التسوية التي هي لا تكون إلا بالعقل.

وقال الزمخشري: فإن قلت: لم نكرت النفس؟ قلت: فيه وجهان:

أحدها: أن يريد نفسا خاصة من النفوس، وهي نفس آدم، كأنه قال: وواحدة من النفوس انتهى[٤].

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٣٢).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٦).

(٣) إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٤).

(٤) لم يذكر أبو حيان القول الثاني للزمخشري وهو في الكشاف والثاني: أن يريد كل نفس وينكر للتكثير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٧٥٩.

وهذا فيه بعد للأوصاف المذكورة بعدها، فلا تكون إلا للجنس، ألا ترى إلى قوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ ، كيف تقتضي التغاير في المزكى وفي المدسى؟[1] ».

وقال القرطبي: وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا مَجْرُورَةٌ عَلَى الْقَسَمِ [2].

﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ ﴾

الْإِلْهَامُ: إلقاء الشيء في الرّوع، ويختصّ ذلك بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملإ الأعلى، قال تعالى: ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ ، وذلك نحو ما عبّر عنه بِلَمَّةِ المَلَك، وبالنّفْث في الرّوْع كقوله ﷺ: «إنّ للملك لمّة وللشيطان لمّة[3]»، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ روح القدس نفث في رُوعي[4]»،

(١) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٥).

(٣) جزء من حديث رواه البزار في مسنده وفيه توضيح للمة فقد روى عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن للملك لمة، وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد الخير وتحذير من الشر، ولمة الشيطان إيعاد الشر . أحسبه قال: وتحذير من الخير "، قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وقد رواه غير أبي الأحوص موقوفا» مسند البزار أو البحر الزخار (٥/ ٣٩٤)، ورواه الطبراني في الكبير المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٠١).

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه. المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ) (١٠/ ١٩١)، والإمام الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٦٦)، قال العراقي: «أخرجه الشِّيرَازِيّ فِي الألقاب من حَدِيث سهل بن سعد نَحوه، وَالطَّبَرَانِيّ فِي الْأَصْغَر والأوسط من حَدِيث عَلّي وَكِلَاهُمَا ضَعِيف». المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لأبي الفضل زين =

وأصله من الْتِهَامِ الشيء، وهو ابتلاعه، والْتَهَمَ الفصيل ما في الضّرع، وفرس لهم: كأنه يَلْتَهِمُ الأرض لشدّة عدوه[١].

وعرف ابن الجوزي الإلهام بأنه: إيقاع الشيء في النفس[٢] ، وروى القرطبي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدِهِ خَيْرًا، أَلْهَمَهُ الْخَيْرَ فَعَمِلَ بِهِ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ السُّوءَ، أَلْهَمَهُ الشَّرَّ فَعَمِلَ بِهِ[٣] .

وتدور أقوال المفسرين وروايتهم في تفسير إلهام الفجور والتقوى حول قولين:

الأول: أنه فهمها أو بين لها أو عرفها، أو علمها، وغير ذلك من الألفاظ المتقاربة المعنى والمدلول.

والثاني: أنه جعل فيها ذلك.

وتفصيل القولين كالآتي:

ففي القول الأول روى الطبري عن ابن عباس يقول: بين الخيرَ والشرَّ، وعنه أيضا علَّمها الطاعة والمعصية، وعن مجاهد: عَرَّفَها وعن قتادة: فبَيَّن لها فجورها وتقواها[١].

=

الدين عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٦هـ)، (ص١٠٤)، وقال أبو الحسن الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه عفير بن معدان، وهو ضعيف». مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) (٤/ ٧٢)

«نفث »: النفث شبيه بالنفخ، والتفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق، و« روعي»، أي: في خلدي ونفسي، معناه: أوحي إلي. ينظر: شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) (١٤/ ٣٠٥).

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٧٤٨).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٥، ٧٦).

وعند ابن قتيبة: فهّمها أعمال البر وأعمال الفجور، حتى عرف ذلك الجاهل والعاقل[٢].

وعند الزجاج: قيل: علمها طريق الفجور وطَرِيقَ الهدى[٣] ، وروى الثعلبي عن الكلبي: أعلمها ما تأتي وما تتقي[٤].

وفي القول الثاني: روى الطبري عن ابن زيد قال: جعل فيها فجورَها وتقواها [٥]، وروى الثعلبي عن ابن زيد وابن الفضل: جعل فيها ذلك، يعني: بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور[٦]، ومثله روى البغوي عن ابن زيد وجعله اخيار الزجاج[٧].

وذكره الخازن غير منسوب وعلق عليه وشرحه فقال: وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه إيّاها للتّقوى، وخذلانه إياها للفجور؛ وذلك لأن الله تعالى خلق في المؤمن التّقوى، وفي الكافر الفجور[٨]، وبنحوه قال أبو السعود[٩]

=

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٥، ٤٥٦)، وينظر: الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٠، ٤٢١)، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩٣).

(٢) تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) (ص٢٠٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج» (٥/ ٣٣٢).

(٤) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٠، ٤٢١)، معالم التنزيل (٨/ ٤٣٨).

(٥) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٥، ٤٥٦)، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩٤)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١).

(٦) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٠، ٤٢١).

(٧) معالم التنزيل (٨/ ٤٣٨).

(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٣٢،٤٣٣).

(٩) إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٤).

أما الزمخشري فقد فسر الإلهام هنا بما يتوافق مع مذهبه الاعتزالى فقال: ومعنى إلهام الفجور والتقوى: إفهامهما وإعقالهما، وأنّ أحدهما حسن والآخر قبيح، وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ ، فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية[1]؛ لذا حكاه عنه أبو حيان وقال: وَفِيهِ دَسِيسَةُ الِاعْتِزَالِ[2]

وأما الرازي فقد فصل المسألة تفصيلا دقيقا فذكر فيها وجهين:

أولهما: أن إلهام الفجور والتقوى، إفهامها وإعقالهما، وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما، وهو كقوله: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [البلد: ١٠]، ثم علق على هذا التأويل بأنه تأويل مطابق لمذاهب المعتزلة، ثم علل قولهم بأنهم استدلوا عليه : قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ ـ ولعله يشير إلى ما ذهب إليه الزمخشري ـ وذكر أن هذا الوجه مروي عن ابن عباس وعن جمع من أكابر المفسرين.

ثم ذكر الوجه الثاني وهو: أنه تعالى ألهم المؤمن المتقي تقواه، وألهم الكافر فجوره، وروى عن سعيد بن جبير قال: ألزمها فجورها وتقواها، وعن ابن زيد: جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها بالفجور، وجعل هذا القول هو اختيار كل من الزجاج والواحدي ، وذكر أن الواحدي قال:

التعليم والتعريف والتبيين، غير والإلهام غير، فإن الإلهام هو أن يوقع الله في قلب العبد شيئا، وإذا أوقع في قلبه شيئا فقد ألزمه إياه.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٥٩، ٧٦٠).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٩).

وأصل معنى الإلهام من قولهم: لهم الشيء، والتهمه إذا ابتلعه، وألهمته ذلك الشيء أي أبلغته، وهذا هو الأصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد؛ لأنه كالإبلاغ، فالتفسير الموافق لهذا الأصل قول ابن زيد، وهو صريح في أن الله تعالى خلق في المؤمن تقواه، وفي الكافر فجوره، وأما التمسك بقوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ فضعيف؛ لأن المروي عن سعيد ابن جبير وعطاء وعكرمة ومقاتل والكلبي أن المعنى: قد أفلحت وسعدت نفس زكاها الله تعالى وأصلحها وطهرها، والمعنى: وفقها للطاعة، ثم علق عليه بقوله وهو تام، ثم ذكر أن الذي يدل عقلا على أن المراد من قوله: ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ هو الخذلان والتوفيق: ما ذكره مرارا أن الأفعال الاختيارية موقوفة على حصول الاختيارات، فحصولها إن كان لا عن فاعل فقد استغنى المحدث عن الفاعل، وفيه نفي الصانع، وإن كان عن فاعل هو العبد لزم التسلسل، وإن كان عن الله فهو المقصود،

وأيضا فليجرب العاقل نفسه فإنه ربما كان الإنسان غافلا عن شيء فتقع صورته في قلبه دفعة، ويترتب على وقوع تلك الصورة في القلب ميل إليه، ويترتب على ذلك الميل حركة الأعضاء وصدور الفعل، وذلك يفيد القطع بأن المراد من قوله: فألهمها ما ذكرناه لا ما ذكره المعتزلة[1].

ومما سبق يتبين من البحث أن الراجح هو القول الثاني وهو قول ابن زيد: جعل فيها فجورَها وتقواها، فقد رجحه الرازي، وقال القرطبي عن الأول إنه موافق لمذهب المعتزلة كما مر، وأخيرا قال السمعاني عن قول ابن زيد:

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٧).

«وَهُوَ أولى من القَوْل الأول؛ لِأَن الإلهام فِي اللُّغَة فَوق التَّعْرِيف والإعلام[١]».

ويرد مكي على قول القدرية بما روي عن النبي عليه السلام: " من كان الله خلقه لإحدى المنزلين يهيئه لها[٢]

يريد السعادة والشقاء، ثم قال صلى الله عليه وسلم: وتصديق بذلك في كتاب الله جل وعز: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ " ثم علق عليه فقال:

وهذا فيه أعظم حجة على القدرية[٣] أن كل امرئ ميسر لما قدر عليه قبل أن يخلق، فمن كان قد قضى الله له السعادة يسر إلى عمل أهل

---

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٣).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٣/ ١٦١.

(٣) أول ما تكلم من الناس في القدر بالبصرة، معبد الجهني، وأبو يونس الأسواري وكان ذلك في آخر زمن الصحابة، ثم ظهرت المعتزلة . كتاب القدر، لأبي بكر جعفر بن محمد الفِرْيابِي (ت ٣٠١ هـ)، (ص٢٠٥)، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير لابن الوزير، محمد بن إبراهيم (ت ٨٤٠هـ) (٤/ ٢٦٦)

وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا أن ذلك ممتنع وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا أنه إذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي؛ لأنهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه وظنوا أيضا أنه إذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يفسد فلما بلغ قولهم بإنكار القدر السابق الصحابة أنكروا إنكارا عظيما وتبرءوا منهم حتى قال عبد الله بن عمر: أخبر أولئك أني بريء منهم وأنهم مني برآء. مجموع الفتاوى لابن تيمية ، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، (١٣/ ٣٦).

السعادة، ومن كان (قد) قضى (الله) له بالشقاء يسر إلى عمل أهل الشقوة، ولا يكون ذلك منه ظلماً لخلقه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون قد علم قبل خلقهم ما هم عاملون، فخلقهم ما تقدم من علمه بهم فجاؤوا على مثل ذلك: مؤمن وكافر، وشقي وسعيد[1].

ومن الأحاديث الواردة في الإلهام وتوضح أقدار الله على عباده كيف تجري على العباد ما رواه الطبري وغيره: «عن يحيى بن يَعْمَر، عن أبي الأسود الدّيلي، قال: قال لي عمران بن حُصين: أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه[2] أشيء قُضِيَ عليهم، ومضى عليهم من قَدَرٍ قد سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام، وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قُضِيَ عليهم، قال: فهل يكون ذلك ظلما؟

قال: ففزعت منه فزعا شديدا، قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خَلْقُه، ومِلْكُ يده، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قال: سددّك الله، إنما سألتك "أظنه أنا" لأخْبُرَ عقلك.

إن رجلا من مُزَينة أو جهينة، أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضي عليهم، ومضى عليهم من قدر سبق، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه السلام وأكّدت به عليهم الحجة؟

قال: "فِي شَيء قَدْ قُضِيَ عَلَيْهِمْ"؛ قال: ففيم نعملُ؟

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩٤، ٨٢٩٥).

(٢) الكدح: السعي في العمل لِدنيا كان أو لآخرةٍ. المعلم بفوائد مسلم لأبي عبد الله محمد بن علي ابن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (ت ٥٣٦هـ) (٣/ ٣١٣).

قال: "مَنْ كانَ اللهُ خَلَقَهُ لإحْدَى المَنزلَتَينِ يُهَيِّئُهُ لَهَا، وَتَصْدِيقُ ذَلكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [١]».

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾

زكاها أي: أنماها وأعلاها بالطاعة والبرّ والصّدقة واصطناع المعروف.

وأصل التزكية: الزّيادة، ومنه يقال: زكا الزرع يزكو: إذا كثر ريعه، وزكت النّفقة: إذا بورك فيها، ومنه زكاة الرّجل عن ماله؛ لأنها تثمّر ماله وتنمّيه، وتزكية القاضي للشّاهد منه؛ لأنه يرفعه بالتّعديل والذّكر الجميل[٢].

وقيل: يعني: أصلحها، وطَهرها من الذنوب، ووفقها للتقوى[٣].

وقيل: قد نجا وفاز من زكى نفسه فطهرها ونماها بالإيمان والعمل الصالح، والزكاة أصلها: النماء والزيادة[٤].

والفاعل في زكاها يحتمل أن يكون الله تعالى، ويحتمل أن يكون الفاعل ب (زكى) الإنسان وعليه تقع (مَنْ):

فذهب الزجاج إلى أن النفس التي أفلحت هي التي زكاها الله، وكذا الثعلبي[٥].

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٥، ٤٥٦)، والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ قريب في كتاب القدر ، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٤١).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٢٠٥).

(٣) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٢).

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩٥).

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٢)، الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٢).

وقد ذكر الطبري القولين، ونسب الأول لابن عباس فقال: عن ابن عباس ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ يقول: قد أفلح من زكَّى اللهُ نفسه، وروى القول الثاني عن مجاهد وسعيد بن جُبير وعكرِمة، فعنهم قالوا: من أصلحها[1]، ونسب ابن عطية الأول لابن عباس، والثاني للحسن[2].

ونسب ابن الجوزي الأول لابن عباس، ومقاتل والفراء، والزجاج، والثاني لقتادة، وابن قتيبة[3] وجوزهما الهمذاني[4].

وذكر مكي القولين ونسب الثاني لعكرمة وقتادة؛ وحسنه لأنه لا يحتاج إلى حيلة، وذكر الأول ـ أن المزكي هو الله . بلفظ (قيل)، ونسبه لابن زيد وابن طلحة واستبعده؛ لأن الضمير المرفوع في " زكى" ل " الله "، والهاء للنفس، ويبعد أن تجعل (من) لله (نفس) فيكون الكلام غير مستقيم[5].

وذكر الرازي القولين: فذكر أن الفاعل هو المزكي نفسه، وأن المعنى: أنه قد أدرك مطلوبه من زكى نفسه؛ بأن طهرها من الذنوب بفعل الطاعة ومجانبة المعصية.

والثاني: أنه الله تعالى، وذكر أن القاضي قَبِل هذا التأويل، وأن المراد منه: أن الله حكم بتزكيتها وسماها بذلك، كما يقال في العرف: إن فلانا يزكي فلانا،

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٦).
(٢) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨).
(٣) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١).
(٤) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤٠٨).
(٥) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩٦، ٨٢٩٧).

ثم حكى عن القاضي أنه قال: والأول أقرب؛ لأن ذكر النفس قد تقدم ظاهرا، فرد الضمير عليه أولى من رده على ما هو في حكم المذكور لا أنه مذكور.

ولم يرتض الرازي هذه العلة للترجيح، ورد عليها فذكر أن قول القاضي ذكر النفس قد تقدم، فقال: هذا بالعكس أولى، فإن أهل اللغة اتفقوا على أن عود الضمير إلى الأقرب أولى من عوده إلى الأبعد،

وقوله: (فألهمها) أقرب إلى قوله: (ما) منه إلى قوله: ونفس، وخلص من ذلك أن الترجيح الأول لما ذكره وليس لما ذكره القاضي.

ثم أيد ترجيحه وتأويله بما رواه الواحدي في البسيط[١] عن سعيد ابن أبي هلال أنه عليه السلام كان إذا قرأ: قد أفلح من زكاها وقف وقال: اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها وأنت مولاها، وزكها أنت خير من زكاها[٢].

وأيضا رجح ابن جزي الكلبي، وابن كثير أن الفاعل هو المزكي نفسه[٣].

ورد ابن عادل القول بأن الضمير لله تعالى؛ وعلله باحتياجه إلى عود الضمير على النفس مقيدة بإضافتها إلى ضمير من[٤].

مما سبق يتضح للباحث أن القول الراجح في المسألة هو القائل بأنه المزكي نفسه؛ لأنه يكاد يكون إجماع المفسرين عليه، وهو الأنسب إلى السياق؛ ليكون الكلام متصلا وغير متفكك.

(١) التفسير البسيط لعلي بن أحمد بن الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، (٢٤/ ٥٩).
(٢) مفاتيح الغيب (١٧٧/٣١، ١٧٨).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٧)، تفسير القرآن العظيم لابن كير(٨/ ٤١٢).
(٤) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٦٢).

وجواب القسم فيه ثلاثة أقوال:

الأول: (قد أفلح)، والمعنى: والشمس وضحاها لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لثقلها؛ لأن الكلام قد طال، اكتفى به الثعلبي، وأبو الحسن المجاشعي، وابن عطية، والرازي، ونسبه للزجاج [١]، ونسبه ابن جزي الكلبي للجمهور، وحكى قول الزمخشري الآتي[٢].

الثاني: أنه محذوف لبيان معناه، والتقدير: والشمس وضحاها لقد سعد أهل الطاعة وشقي أهل المعصية، فدل على المحذوف.

واختاره ابن الأنباري وذكره مع الأول ولم يذكر الثالث[٣]، ونسب ابن الجوزي الأول للزجاج والثاني لابن الأنباري ولم يذكر ترجيحه ولم يذكر القول الثالث[٤]،

واختار الزمخشري كون الجواب محذوفا لكن ليس تقديره كما قدر ابن الأنباري وغيره، وإنما تقديره: ليدمدمنّ الله عليهم، أى: على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما دمدم على ثمود؛ لأنهم كذبوا صالحا، ورد القول بأنه ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ لأنه كلام تابع لقوله ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ على سبيل الاستطراد، فليس من جواب القسم في شيء[٥].

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٥٨٦)، النكت في القرآن الكريم (ص٥٥٧)، المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨)، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٤).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٧).

(٣) إيضاح الوقف والابتداء لمحمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) (٢/ ٩٧٨).

(٤) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١)

(٥) الكشاف (٤/ ٧٦٠)، وينظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لمحمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٦٦٦هـ) (ص٥٧٣).

وكذا ذكرهما الهمذاني، دون استبعاد القول بأن الجواب (قد أفلح)، وذكر تقديرا ثانيا للحذف: لتبعثن، أو لتحاسبن، ونسب الأول للزجاج ولم ينسب الأخيرين[١].

الثالث: أنه ليس فيه تقدير حذف، وجواب القسم بغير لام على التقديم والتأخير، والتقدير: قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها، والشمس وضحاها، كما تقول: قد نام زيد، والله، قد خرج الأمير والله. ذكره مكي، ونسبه لأبي حاتم، ونسب الأول للأخفش، ولم يذكر الثاني[٢].

وذكر القرطبي الثلاثة أقوال، ونسب الأول للزجاج، وحكى الثاني عن الزمخشري ولم يرجح[٣].

ومن بركات هذه الآية ما ذكره ابن كثير من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل والهرم، والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم، آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم، إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها".

قال زيد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكوهن. رواه مسلم [٤].

---

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/٤٠٧، ٤٠٨).

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٢٩٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٧٦، ٧٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كير (٨/ ٤١٣)، والحديث رواه مسلم في صحيحه كتاب العلم، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٤/ ٢٠٨٨).

﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠ ﴾

الأصل من(دسّ) "دَسَّست"، فقلبتْ السينُ ياءً، كما قالوا: قصَّيْتُ أظفاري، أي قصَّصتها[1]، وتظنَّيت هذا الأمر، بمعنى: تظننت، والعرب تفعل ذلك كثيرا، فتبدل في الأحرف المشدّدة بعض حروفه، ياء أحيانا، ووا أحيانا؛ ومنه قول الآخر:

يَذْهَبُ بِي فِي الشِّعْرِ كُلَّ فَنَّ ... حتى يَرُدَّ عَنِّي التَّظَنِّي[2]

يريد: التظنن[3].

وبين السمرقندي أصل دساها فقال: «وأصل هذا أن أجواد العرب، كانوا ينزلون في أرفع المواضع، ويوقدون من النار للطارقين؛ لتكون أنفسهم أشهر، واللئام ينزلون الأطراف والأهضام؛ لتخفي أماكنهم على الطارقين، فأخفوا أنفسهم.

والبار أيضاً أظهر نفسه بأعمال البر، والفاجر دساها.

ويقال: إن الله تعالى، يطلب من عباده المؤمنين يوم القيامة ستة أشياء بمكان النعمة، الشكر، وبمكان الشدة الصبر، وبمكان الصحة العمل

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ) (٢/ ٣٠٠)، غريب القرآن لابن قتيبة (ص٥٣٠)

(٢) البيت لفتى لم يسم؛ حيث روى بديع الزمان الهمذاني قال:
حيث حدثه عيسى بن هشام أنه لقي فتى بالبادية يلعب بالتراب وكان ينشد هذا الفتى شعرا وكان هذا البيت جزء من إنشاده. مقامات بديع الزمان الهمذاني ص١٧، وذكره المفضل ابن سلمة غير منسوب. الفاخر ص٥.

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٧)، وينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٧).

بالطاعة، وبمكان الذنوب التوبة، وبمكان العمل الإخلاص، فمن يجيء بهذه الأشياء، فقد أفلح ونما، ومن لم يجيء بهذه الأشياء، فقد خسر وغبن»[١]

والمعنى: نقصها وأخفاها بترك عمل البرّ، وبركوب المعاصي[٢]، وقيل: جعلها قليلة خَسِيسَةً[٣].

وعن ابن عباس ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ يقول: وقد خاب من دَسَّى اللهُ نَفسَه فأضلَّه، وعنه: ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ يعني: تكذيبها، وعن مجاهد وسعيد ابن جُبير ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ قال أحدهما: أغواها، وقال الآخر: أضلَّها[٤].

وعن قتادة: دسّاها: آثمها وأفجرها، وعن ابن عباس: أبطلها وأهلكها، وعن الحسن معناه: قد أفلح من زكَّى نفسه فأصلحها، وحملها على طاعة الله عز وجل، ﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ قال: من أهلكها وأضلها وحملها على معصية الله عز وجل، فجعل الفعل للنفس[٥]، وذكر البغوي قول الحسن[٦].

قال ابن الجوزي: «إن قلنا: إن الفعل لله، فمعنى دساها : خذلها، وأخملها، وأخفى محلها بالكفر والمعصية، ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح، وإن قلنا: الفعل للإنسان، فمعنى دساها : أخفاها بالفجور، قال:

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٥٨٦)، ذكر السمرقندي ستة أشياء ولم يعدد سوى خمسة فقط وقد رجعت إلى نسخة دار الكتب العلمية ، الأول ، ١٤١٣هـ فوجدتها خمسة أيضا.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٢٠٥، ٢٠٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٢).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٧وما بعده).

(٥) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٣: ٤٢٧).

(٦) معالم التنزيل (٨/ ٤٣٩).

وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبا للشهرة، واللئام تنزل الأطراف لتخفي أماكنها، وقال الزّجّاج: معنى دسّاها جعلها قليلة خسيسة[1] ».

وهذا القول الأخير جعله الرازي من وجوه تفسير المعتزلة للآية، والتي توافق مذهبهم، وذكر معه عدة وجوه أُخَر، وذكر تفسير أهل السنة فقال:

«ثم نقول: أما المعتزلة فذكروا وجوها توافق قولهم:

أحدها: أن أهل الصلاح يظهرون أنفسهم، وأهل الفسق يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية، كما أن أجواد العرب ينزلون الربا حتى تشتهر أماكنهم ويقصدهم المحتاجون، ويوقدون النيران بالليل للطارقين. وأما اللئام فإنهم يخفون أماكنهم عن الطالبين.

وثانيها: خاب من دساها أي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم.

وثالثها: من دساها في المعاصي حتى انغمس فيها.

ورابعها: من دساها من دس في نفسه الفجور، وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع أهلها.

وخامسها: أن من أعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصي صار خاملا متروكا منسيا، فصار كالشيء المدسوس في الاختفاء والخمول.

وأما أصحابنا فقالوا: المعنى خابت وخسرت نفس أضلها الله تعالى وأغواها وأفجرها وأبطلها وأهلكها، هذه ألفاظهم في تفسير دساها[2]».

ولعل الرازي ذهب إلى ذلك؛ لأنه تفسير يتوافق مع عقيدة المعتزلة القدرية في أن العبد يخلق أفعاله الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه، لكن كثيرا

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١)، وينظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٢، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٧) .

(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٨).

من أهل السنة قال بنحو هذه الأقوال فيحمل على ما يتوافق على أصول كل منهما»[١].

فمثلا يقول ابن كثير: «﴿ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أي: دسسها، أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى، حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل»[٢].

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ ﴾

وفي علاقة الآية بما قبلها يقول الثعالبي: «ولما ذَكَر تعالى خَيْبَةَ مَنْ دسَّى نفسَه ذكرَ فرقةً فَعَلَتْ ذلكَ ليعتبرَ بهم، وينتهى عن مثلِ فعلِهم[٣]».

وقد ورد في تفسير الطغوى هنا عدة أقوال:

أولها: أن الطغوى: العذاب أو الطغيان، وهما متقاربان إذ المعنى: كذَّبت ثمود بطغيانها، يعني: بعذابها الذي وعدهموه صالح عليه السلام، فكان ذلك العذاب طاغيا طغى عليهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾.

ذكره الطبري، وروى عن ابن عباس، في قول الله: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾ قال: اسم العذاب الذي جاءها، الطَّغْوَى، فقال: كذّبت ثمود بعذابها، وعن قتادة ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾: أي الطغيان[٤].

---

(١) المعتزلة القدرية: هذه الفرقة ترى أن العبد يخلق أفعاله بقدرته مستقلاً عن قدرة الله، ويريد ويدبر بإرادته الحرة قبل أن تتدخل إرادة الله تعالى في إرادته أو مع إرادته. العقل والنقل عند ابن رشد لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت ١٤١٥هـ) (ص٩٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كير(٨/ ٤١٢).

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٥٩٦).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٨).

ويرى النحاس أن الطغوى والطغيان واحد، واستثنى من ذلك ما رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس أنه قال: ﴿ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾ بعذابها، والطّغوى: اسم العذاب، قال أبو جعفر: وهذا يصحّ على حذف أي بعذاب طغواها مثل ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] [١].

وذكر كل من السمرقندي وابن الجوزي أن المعنى على تفسيره بطغيانهم أنه حملهم على ذلك التكذيب[٢]؛ وسمي العذاب طغياناً لأنه طغى عليهم وعتا فأهلكهم كما قال: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٥]،أي: بالعذاب الذي اسمه الطاغية، ودل على ذلك قوله بعد ذلك: ﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٦]، فذكر العذاب الذي عذب به الإنسان وسماه[٣].

وذكر الرازي الوجهين: أنها فعلت التكذيب بطغيانها، وأن الطغوى اسم لعذابهم، وذكر مجمل ما ذكره المفسرون فقال: «وفي التفسير وجهان:

أحدهما: أنها فعلت التكذيب بطغيانها، كما تقول: ظلمني بجراءته على الله تعالى، والمعنى أن طغيانهم حملهم على التكذيب به هذا هو القول المشهور.

والثاني: أن الطغوى اسم لعذابهم الذي أهلكوا به، والمعنى كذبت بعذابها أي لم يصدقوا رسولهم فيما أنذرهم به من العذاب.

(١) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٧).

(٢) بحر العلوم (٣/ ٥٨٦)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١).

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (٨٢٩٨/١٢، ٨٢٩٩).

وهذا لا يبعد لأن معنى الطغيان في اللغة مجاوزة القدر المعتاد، فيجوز أن يسمى العذاب الذي جاءهم طغوى؛ لأنه كان صيحة مجاوزة للقدر المعتاد أو يكون التقدير كذبت بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى.

ويدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة: ٤] أي بالعذاب الذي حل بها، ثم قال: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٥] فسمى ما أهلكوا به من العذاب طاغية[١]»

وثانيها: أن الطغوى بمعنى المعصية، والمعنى: كذّبت ثمود بمعصيتهم الله،

وقد روى الطبري عن مجاهد قال: معصيتها، وعن ابن زيد: بطغيانهم وبمعصيتهم[٢]، وقال محمد بن كعب القرظي: معناه: كذبت ثمود بمعصيتهم الله[٣].

وثالثها: أن طغواها بمعنى: بأجمعها، فقد روى الطبري عن محمد ابن كعب: بأجمعها[٤]، وعنه مكي والقرطبي[٥]، والسمعاني غير منسوب[٦].

وذكر ابن كثير القولين: الأول: بأنه بسبب ما كانوا عليه من الطغيان، والثالث: بأجمعها منسوبا إلى القرظي، ولم يذكر الثاني، وقال عن

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٨)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٨).
(٢) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٨).
(٣) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/٨٢٩٨، ٨٢٩٩).
(٤) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٩).
(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/٨٢٩٨، ٨٢٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٨).
(٦) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٤).

الأول إنه أولى ونسبه لمجاهد وقتادة، وأن المعنى فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم من الهدى واليقين[١]».

والباء في بـ ﴿ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾ مثلها في: كتبت بالقلم، يعنى: فعلت التكذيب بطغيانها، كما تقول: ظلمني بجرأته على الله ذكره الزمخشري[٢]،

وعليه تكون الباء باء الاستعانة، وجعلها البيضاوي باء السببية فقال: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاها بسبب طغيانها[٣]»، ونسبه أبو حيان والثعالبي للجمهور[٤] ،وقد ذكر الكلبي الوجهين[٥].

وذكر كل من أبي السعود والشوكاني أنها للسببية، وأنها صلةٌ للتكذيبِ، أيْ كذَّبتْ بمَا او عدت بهِ منَ العذابِ ذي الطَّغوى[٦].

وذكر ابن عادل في هذه الباء الأوجه الثلاثة، ووضح المعنى مفصلا على كل وجه فقال:

«قوله: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾: في هذه الباء ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها للاستعانة مجازاً، كقولك: كتبت بالقلم، وبه بدأ الزمخشري، يعني فعلت التكذيب بطغيانها، كقولك: ظلمني بجرأته على الله تعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كير (٨/ ٤١٣).

(٢) الكشاف (٤/ ٧٦٠).

(٣) تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (٥/ ٣١٦).

(٤) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٨٩، ٤٩٠)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٥/ ٥٩٦).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٧).

(٦) إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٤٧)

والثاني: أنها للتعدية، أي كذبت بما أوعدت به من عذابها ذي الطغيان، كقوله تعالى: ﴿ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٥] قال ابن عباس – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه –: وكان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى؛ لأنه طغى عليهم.

قال ابن الخطيب: وهذا لا يبعد لأن الطغيان مجاوزة الحد؛ فسمي عذابهم طغوا لأنه كالصيحة مجاوزة للقدر المعتاد.

والثالث: أنها للسببية، أي: بسبب طغيانها، وهو خروجها عن الحدّ في العصيان قاله مجاهد وقتادة وغيرهما[١]».

وهذا هو القول الراجح؛ لأنه قول الجمهور كما نسبه أبو حيان والثعالبي، وقد مر آنفا.

والطغيان والطغوى: مصدران للتوفيق بين رءوس الآي، إذ كانت الطغْوَى أشبه بسائر رءوس الآيات في هذه السورة، وذلك نظير قوله: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ [يونس: ١٠] بمعنى: وآخر دعائهم[٢]، ونسبه كل من ابن الجوزي والرازي للفراء[٣].

وأصل (طَغْواها): طَغْيَهَا، وَفَعْلَى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم وَاواً؛ ليفصُل بين الاسم والصفة، تقول: هي التقوى، وإنما هي مِنْ أيقنتُ، وهي التقوى وإنما هي من يقنت، وقالوا: امرأةٌ خَزْياً لأنها صفةٌ [٤].

---

(١) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٦٤،٣٦٣)

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٩)، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤٠٨)

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١)، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٣)، الكشاف (٤/ ٧٦٠)، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤٠٨)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٨).

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾: (إذ) معمول لـ {كَذَّبَتْ}، أي: كذبوا نبيهم حين انبعث، أو ل (طغوى)، أي: طغت حين انبعث أشقاها للعقر(١).

وأصل البَعْث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بَعَثْتُهُ فَانْبَعَثَ، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علّق به، فَبَعَثْتُ البعير: أثرته وسيّرته، وقوله عزّ وجل: ﴿ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٣٦] ، أي: يخرجهم ويسيرهم إلى القيامة، ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا ﴾ [المجادلة: ٦]، ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧] ، ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] ، فالبعث ضربان: – بشريّ، كبعث البعير، وبعث الإنسان في حاجة(٢).

و (انْبَعَثَ) في الآية: انفعل من الْبَعْث، والانبعاث: هُوَ الْإِسْرَاع فِي الطَّاعَة للباعث(٣) أو نَهَضَ لعقْرِ الناقةِ(٤).

﴿ أَشۡقَىٰهَا ﴾: أشقى ثمود، وهو قُدَار بن سالف، عن قتادة، في قوله ﴿﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ يعني أُحَيْمِرَ ثَمود(٥).

---

(١) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤٠٨، ٤٠٩)، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص١٣٢).

(٣) غريب القرآن للسجستاني (ص١١٦)، التبيان في تفسير غريب القرآن لأحمد بن محمد بن الهائم (ت ٨١٥هـ) (ص٣٤٥).

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٥٣٠).

(٥) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٩)، وينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٠١، ٨٣٠٠).

ويضرب به المثل يقال: أشأم من قدار، وهو أشقى الأولين بفتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]، والتفضيل في الشقاوة؛ لأن من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ[٢] .

واختلف العلماء فيمن المراد من انبعث هنا! هل هو واحد أم أكثر؟ على أقوال:

أولها: ـ قول جمهور المفسرين ـ وهو شخص واحد واسمه: قُدَار ابن سالف، وقال عنه الكلبي إنه أظهر وأشهر[٣]، وذكر الثعلبي صفته فقال: وكان رجلًا أشقرا أزرقا، قصيرًا ملتزق الحلق، واسم أمه قديرة[٤].

واستدلوا بالحديث المتفق عليه: عن عبد الله بن زمعة[٥]: «أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، وذكر الناقة والذي عقر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ انبعث لها رجل عزيز عارم، منيع في رهطه، مثل أبي زمعة[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٩).

(٢) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤٠٨، ٤٠٩)، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١٦).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٧).

(٤) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٢٨، ٤٢٩)، وينظر: معالم التنزيل (٨/ ٤٤٠).

(٥) عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد (٤١٦ م ٣) ابن عبد العزى بن قصي القرشي، له صحبة روى عنه أبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام وعروة بن الزبير سمعت أبي يقول ذلك الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٥٩.

(٦) صحيح البخاري . واللفظ له .: كتاب تفسير القرآن، سورة {والشمس وضحاها} (٦/ ١٦٩)، ومسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٩١).

وبالحديث الذي رواه السمعاني وغيره: عَن عُثْمَان بن صُهَيْب، عَن أَبِيه قَالَ: قَالَ رَسُول الله لعَلي: " من أَشْقَى الْأَوَّلين؟ قَالَ: عَاقِر النَّاقة، قَالَ: صدقت، قَالَ: فَمن أَشْقَى الآخرين؟ قَالَ: قلت: لَا أعلم يَا رَسُول الله.

قَالَ: الَّذِي يَضْرِبك على هَذِه، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَافُوخه، قال السمعاني: وَهُوَ غَرِيب[1].

ثانيها: أنهم جماعة، والتوحيد للتسوية في أفعل التفضيل إذا أضيف بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وكان يجوز أن يقال: أشقوها، كما تقول: أفاضلهم، والضمير في (لَهُمْ) يجوز أن يكون للأشقين والتفضيل في الشقاوة؛ لأنّ من تولى الفقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ. ذكر ذلك الزمخشري وجوزه[2].

وقال عنه ابن عطية والكلبي إنه محتمل[3] وذكرا القول الأول: إنه قدار ولم يذكرا القول الآتي، وزاد ابن عطية أنه لم يفعل فعله بالناقة حتى مالأه عليه جميع الحي، فلذلك قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ لكونهم متفقين على ذلك[4]، وجوزه الرازي[5].

وثالث الأقوال في الذي انبعث لقتل الناقة: أنهما اثنان ذكره الفراء فقال: «وقوله عز وجل: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ يُقال: إنهما كانا اثنين فلان

(١) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٤)، ورواه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة (٢/ ٥٦٦)، والبزار في مسنده وقال: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عمار إلا من هذا الوجه» (٤/ ٢٥٤).

(٢) الكشاف (٤/ ٧٦٠).

(٣) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٧).

(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٨).

(٥) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٩).

ابْنُ دهر، والآخر قدار، ولم يقل: أشقياها للفاصلة، وذلك جائز لو أتى؛ لأن العرب إِذَا أضافت أفعل التي يمدحون بها.

وتدخل فيها (من) إلى أسماء وحدوها فِي موضع الاثنين والمؤنث والجمع، فيقولون للاثنين هذان أفضل النَّاس، وهذان خير النَّاس، ويثنون أيضًا، أنشدني فِي تثنيته أَبُو القمقام الأسَدي:

ألا بكرَ النَّاعِي بِخيرَيْ بنى أسد ... بعمرِو بْن مسعودٍ، وبالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

فإنْ تَسَلُوني بالبيانِ فإنَّه ... أَبُو مَعْقِل لا حيَّ عَنْهُ، ولَا حَدَدْ[١]

قَالَ الفراء: أي لا يكفي عَنْهُ حيٌّ، أي لا يُقال: حيَّ عَلَى فلان سواه، ولا حدد: أي لا يحد عَنْهُ لا يحرم[٢]»

وهذا حكاه جمع من العلماء عن الفراء، وذكر السمرقندي أنهما اثنان: قدار ابن سالف، ومصدع بن دهر[٣].

وقد رد ذلك أبو جعفر النحاس قول الفراء ولم يرتضه فقال: «قال أبو جعفر: هذا الذي حكاه ـ الفراء ـ خلاف ما قال الله جلّ وعزّ، وقاله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقاله أهل التأويل قال الله: (أشقاها)؛ فخبّر عن واحد، فحكي أنهما اثنان، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "انتدب لها رجل"، ولم يقل رجلان، وقال أهل التأويل انتدب لها قدار بن سالف.

قال أبو جعفر: وله نظير أو أعظم منه في سورة الرّحمن[٤] ، وقريبا منه ذكر مكي وزاد: "وفي هذا بعد لأن ظاهر الخطاب لا يخرج على حده إلا بدليل ولا دليل في الآية يدل على أنهما اثنان"[٥]».

---

(١) لم أقف عل نسبة البيت لأحد.

(٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ) (٣/ ٢٦٨).

(٣) بحر العلوم (٣/ ٥٨٦).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٧).

(٥) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٠١، ٨٣٠٠).

واستغربه الكرماني حيث قال: «الغريب: الفراء: هما رجلان: قدار ابن سالف وآخر معه، ولم يقل: أشقياها الآية، وقال الكلبي: قدار بن سالف ومصدع بن دهر،

ومن الغريب: يحتمل أن يقال: لو جاز ما قال الفراء والكلبي: لجاز أن يقال: هم التسعة المذكورون في قوله: ﴿ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ ﴾ [النمل: ٤٨]؛ لأن قدار بن سالف واحد منهم[١]».

﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ ﴾

قوله: ﴿ فَقَالَ لَهُمۡ ﴾: إن كان المراد ب أَشْقَاهَا جماعة، فعود الضمير في قوله (لهم) عليهم واضح، وإن كان المراد به عَلَماً بعينه، فالضمير من لهم يعود على ثمود[٢].

و﴿ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾: صالحا [٣]، وعبرَ عنه بعنوانِ الرسالةِ إيذاناً بوجوبِ طاعتِه، وبياناً لغايةِ عُتوهم وتمادِيهم في الطغيانِ[٤] .

و ﴿ نَاقَةَ ﴾: في إعرابها ثلاثة أقوال:

أولها: أنها منصوبة بإضمار فعل: ذروا أو احذروا.

فهي مَنْصُوبٌ على معنى ذروا ناقة اللَّه، كما قال سبحانه: ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ ﴾ [الأعراف:

---

(١) تفسير الكَرْمانِي (غَرَائِبُ التَّفْسِيرِ وعَجَائِبُ التَّأْوِيلِ)، لمحمود بن حمزة الكَرْمانِي (ت: نحو ٥٠٥هـ) (٢/ ١٣٤٦).

(٢) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/٣٦٥، ٣٦٦).

(٣) جامع البيان (٢٤/ ٤٥٩)، الكشف والبيان (٢٩/ ٤٣٠)، تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٤).

(٤) إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٤).

٧٣]، أي ذروا سقياها، وكان للناقَةِ يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ فِي الشِّرْبِ[١] أو احذَروا ناقة الله وشِرْبها[٢]، وإضمار الناصب هنا واجب لمكان العطف[٣].

ثانيها: أن ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴾ منصوب إغراءً وتحذيرًا، أي: احذروا عقر ناقة الله كقولك البئر البئر، الأسد الأسد[٤].

وجعل الزمخشري النصب على التحذير والإضمار قولا واحدا [٥]، ووافقه الرازي[٦].

وأوضح من ذلك عبارة أبي حيان حيث قال: وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى التَّحْذِيرِ مِمَّا يَجِبُ إِضْمَارُ عَامِلِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ عُطِفَ عَلَيْهِ، فَصَارَ حُكْمُهُ بِالْعَطْفِ حُكْمَ الْمُكَرَّرِ، كَقَوْلِكَ: الْأَسَدَ الْأَسَدَ، أَيِ احْذَرُوا نَاقَةَ[٧].

ثالثها: أنها مرفوعة والتحذير باق في معناها، حكاه المجاشعي عن الفراء، وقد ذكر القولين بالنصب أيضا، ونسب النصب على التحذير لبعض النحويين ولم يسمهم[٨]، وبمثله قال الأصبهاني[٩].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٣).

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة (ص٥٣٠)، معانى القرآن لأبي الحسن المجاشعي المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ) (٢/ ٥٨٠)، التبيان في إعراب القرآن (٢/ ١٢٩٠).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/٣٦٥، ٣٦٦).

(٤) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٣٠).

(٥) الكشاف (٤/ ٧٦٠).

(٦) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٩).

(٧) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٠).

(٨) النكت في القرآن الكريم (ص٥٥٧).

(٩) إعراب القرآن للأصبهاني (ص٥٢٥)، وينظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١).

والمعنى: ما قاله قتادة: ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾ أي: " قسم الله الذي قسم لها من هذا الماء " [١].

وإنما قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها؛ وإنما أضافها إلى الله تعالى لشرفها كبيت الله[٢] .

﴿ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾: شربها وقسمها من الماء، فلا تزاحموها فيه ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [الشعراء: ١٥٥] [٣]، وقيل فلا تذودوها عنها، ولا تستأثروا بها عليها[٤].

وهي عطف علي ناقة الله، أي: واحذروا سقياها[٥] .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤ ﴾

وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ يقول: فكذّبوا صالحا في خبره الذي أخبرهم به، من أن الله الذي جعل شِرْبَ الناقة يوما، ولهم شِرْبُ يوم معلوم، وأن الله يُحِلّ بهم نقمته، إن هم عقروها، كما وصفهم جلّ ثناؤه فقال: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة: ٤][٦].

(١) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٠٢).
(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/ ٤٣٣).
(٣) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٣٠) .
(٤) الكشاف (٤/ ٧٦٠)، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣١٦).
(٥) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤٠٩)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٨)
(٦) جامع البيان (٢٤/ ٤٦٠).

وقيل ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾: أي فلم يوقنوا أنهم يُعَذبُونَ حين قال لهم ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الشعراء: ١٥٦][(١)].

وفيه إنذار عظيم بعاقبة الذنب، فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر[(٢)].

ولكن هل التكذيب كان سببا للعقر، أم التكذيب هو العقر نفسه؟

قولان ذكرهما الفراء حيث قال:

«يَقُولُ القائل: كيف كذبوه فعقروها؟ ونرى أن الكلام أن يُقال: فعقروها فكذبوه، فيكون التكذيب بعد العقر، وقد يكون عَلَى ما ظنّ؛ لأنك تَقُولُ: قتلوا رسولهم فكذبوه، أي: كفى بالقتل تكذيبًا، فهذا وجه، ويكون فكذبوه كلمة مكتفى بها، ويكون قوله: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ جوابا لقوله: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾، فعقروها، وكذلك جاء التفسير.

ويكون مقدمًا وَمؤخرًا؛ لأن العقر وقع بالتكذيب، وإذا وقع الفعلان معا جاز تقديم أيهما شئت، من ذَلِكَ:

أعطيتَ فأحْسنت، وإن قلت: أحسنت فأعطيت كَانَ بذلك المعنى؛ لأن الإعطاء هُوَ الإحسان، والإحسان هُوَ الإعطاء، كذلك العقر: هُوَ التكذيب، فقدمتَ ما شئتَ وأخرت الآخر.

ويقول القائل: كيف قَالَ: فكذبوه ولم يكذبوه قبل ذَلِكَ إذ رضوا بأن يكون للناقة شِربٌ ولهم شِرب؟

فجاء فِي التفسير: أنهم كانوا أقرُّوا بهذا غير مصدقين له[(٣)]».

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٣)، وينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٠٢).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٦١).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٦٩).

ففي القول الأول يرى الفراء أن الكلام ليس على أصله، وإنما أصله فعقروها فكذبوه، فيقع التكذيب أولا والعقر بعده،

وفي القول الثاني يرى أن الكلام على أصله، وهو أنهم قتلوه، وبهذا القتل أصبحوا مكذبين له، إذ لو كانوا مصدقين له لاتبعوه، فكأن قتلهم هو التكذيب، وهنا يتأتى أحد أمرين:

أولهما: أن يكتفى بقوله ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ ، ويكون قوله: ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ جوابا لقوله: ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ كأنه قيل: إذ انبعث أشقاها فعقرها.

وثانيهما: أنه يجوز تقديم التكذيب على العقر، أو العقر على التكذيب، وذلك أن كلّ فعل وقع عن سبب حَسُنَ ابتداؤه قبل السبب وبعده، كقول القائل: أعطيت فأحسنت، وأحسنت فأعطيت؛ لأن الإعطاء هو الإحسان، ومن الإحسان الإعطاء، وكذلك لو كان العقر هو سبب التكذيب، جاز تقديم أيّ ذلك شاء المتكلم.

وأورد على ذلك إشكالا بأنه كيف كان هناك تكذيب وهم قد صدقوا وجعلوا لهم شرب يوم وللناقة شرب؟!

وأجاب بأنهم كانوا أقرُّوا بهذا غير مصدقين له.

ولم يرتض النحاس ذلك، وأنكر على الفراء قوله فعقروها فكذبوه، واعتبره كلاما خاطئا؛ حيث دلت الفاء هنا على أن ثانيا بعد الأول، وهذا عكس اللغة، وليست ثمة حالا تضطر لذلك ومن ثم قال:

«قال الفرّاء: أراد فعقروها فكذبوه. وهذا خطأ في الفاء؛ لأنها تدلّ على أن ثانيا بعد الأول، وهذا عكس اللغة، ومع هذا فليست ثم حال يضطر إليه؛

لأنهم كذّبوا صالحا بأن قال لهم: إن عقرتموها انتقم الله منكم، فكذبوه في ما قال فعقروها[١]».

ولم يرتض أيضا جوابه على الإشكال المترتب على القول بالسببية والتمام، بأنهم كانوا أقرُّوا بهذا غير مصدقين له فقال: وقد قيل: فكذبوه كلام تام ثم عطف عليه فعقروها.

قال أبو جعفر: «وفي هذا من المشكل أن يقال: قد كانوا آمنوا وصدقوا، وجعلوا للناقة يوما ولهم يوما في الشرب،

فزعم الفرّاء أن الجواب عن هذا: أنهم أقروا به ولم يؤمنوا، وهذا القول الذي قاله مما لا يجب أن يجترأ عليه إلا برواية لأنه مغيّب، والرواية بخلافه[٢]».

والْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ[٣].

وذكر الطبرى أنه قيل: جاء الخبر أنهم بعد تسليمهم ذلك أجمعوا على منعها الشرب، ورضوا بقتلها[٤] .

وسبب التعميم في قوله ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾: أنهم رضوا جميعهم بقتلها؛ ولذلك نُسب التكذيب والعقر إلى جميعهم، فقال جلّ ثناؤه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [٥] .

(١) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٧).

(٢) المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٠).

(٤) جامع البيان (٢٤/ ٤٦٠).

(٥) المصدر السابق، الموضع نفسه ، وينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٠٢).

عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن أحيمر ثَمود أبى أن يعقرها، حتى بايعه صغيرُهم وكبيرُهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسوّاها[١] .

فهذا على أن من عقرها وباشر العقر واحد، وهو (قدار)، فيكون الجمع بسبب رضى الجميع، وقد جعله الرازي قول أكثر المفسرين، ونسب إلى الفراء أنه قال: قيل إنهما كانا اثنين[٢].

﴿ فَدَمْدَمَ ﴾: قرأ عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه –: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ ﴾ بالهاء وهما لغتان كقولك: امتقع لونه، واهتقع إذا تغير[٣]،

وفي مصحف ابن مسعود فدماها عليهم[٤].

والدمدمة: ترديد الحال المستكرهة، وقيل: أصله (دم) فضعف وقيل: دم عقر[٥]، والدَّمْدَمة، المبالغة في العقوبة والنكال[٦].

والمعنى: فدمَّر عليهم ربهم بذنبهم ذلك، وكفرهم به، وتكذيبهم رسوله صالحا، وعقرهم ناقته[٧].

---

(١) جامع البيان (٢٤/ ٤٦٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كير(٨/ ٤١٤)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٩).

(٢) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٩،١٨٠)، وقول الفراء مر تفصيلا عند قوله (أشقاها).

(٣) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٣٠،٤٣١)، إعراب القراءات السبع وعللها ص٥٢٢.

(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٩)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٩)، البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٠).

(٥) النكت في القرآن الكريم (ص٥٥٨).

(٦) بحر العلوم (٥٨٦/٣).

(٧) جامع البيان (٢٤/ ٤٦٠).

وقيل ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ ﴾: أطبق عليهم العَذَابَ، يقال: دَمْدَمْتُ على الشيء إذا أطبقت عليه، وكذلك دَمَمْتُ عليه القبرَ وما أشبهه، وكذلِكَ ناقة مَدْمُومَةٌ، أي قد أَلْبَسَها الشحم، فإذا كررت الإطباق قُلْتَ دَمْدَمْتُ عليه[١]، وقيل عذبهم عذَابا تَاما[٢].

وقيل فَدَمْدَمَ: أرجف بهم[٣]، وقيل: دمدم أَي: غضب عَلَيْهِم رَبهم، يُقَال: فلَان يدمدم إِذا كَانَ يتَكَلَّم بغضب، وهذا الأخير ذكره السمعاني ثم قال:

«وَالْقَوْل الْمَعْرُوف أَن معنى قَوْله: ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ ﴾ أَي: أطبق عَلَيْهِم بِالْعَذَابِ يَعْنِي: عمهم وَلم يبْق مِنْهُم أحدا، وَيُقَال: الدمدمة هُوَ الْهَلَاك باستئصال[٤]».

﴿ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾: يعود ـ الضمير ـ على الدمدمة التي دلّ عليها دمدم، بهذا أجاب علي بن سليمان حينما سأله النحاس عن هذا الضمير، وحكى عن غيره: سوّى بينهم في العقوبة فأهلكهم جميعا الله بالعذاب[٥].

﴿ بِذَنْبِهِمْ ﴾: أي بسبب ذنبهم، فالباء للسببية[٦]، وذنبهم: هو تكذيبهم لصالح وعقرهم للناقة؛ ووحده لأنه مصدر[٧]، والتصريحُ بذنبهم مع دِلالة الفاءِ عليهِ للإنذارِ بعاقبةِ الذنبِ ليعتبرَ به كلُّ مذنبٍ[٨].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٣).

(٢) ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لمحمد بن عبد، غلام ثعلب (ت: ٣٤٥هـ) (ص٥٧٩).

(٣) معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٦٩).

(٤) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٤،٢٣٥).

(٥) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٧).

(٦) ينظر: المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٩)، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤٠٩)، إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٥).

(٧) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٠٢).

(٨) إرشاد العقل السليم (٩/ ١٦٥).

﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾: فيها قولان:

الأول: فسوّى الدمدمة عليهم جميعهم، فلم يُفْلِت منهم أحد، أي أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها[١]، ونسبه ابن الجوزي للسدي، ويحيى بن سلام[٢].

وهذا على أن الضمير للدمدمة[٣]، و فسرنا الدمدمة بالإطباق والعموم، ويكون إهلاكهم بصيحة جبريل عليه السلام، وتلك الصيحة أهلكتهم جميعا[٤].

والثاني: سوى أرضهم عليهم[٥]، قال مقاتل: سوَّى بيوتهم على قبورهم، وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها، فلما صِيْحَ بهم فهلكوا زُلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم[٦]، وذكرهما السمعاني[٧].

والقول الثاني على أن الضمير لثمود، وقيل الضمير لأبنيتهم: أى سوّى أبنيتهم بهدمها وإخرابها[٨].

وقال الحسن: لما عقروا الناقة طلبوا فصيلها، فصار في قارة الجبال، فقطع الله عز وجل قلوبهم [٩]

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٦٩)، بحر العلوم (٣/٥٨٦) الكشاف (٤/ ٧٦١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٦١).

(٤) مفاتيح الغيب (٣١/ ١٧٩،١٨٠).

(٥) النكت في القرآن الكريم (ص٥٥٨)

(٦) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١، ٤٥٢).

(٧) تفسير القرآن للسمعاني (٦/ ٢٣٤،٢٣٥).

(٨) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤٠٩).

(٩) جامع البيان (٢٤/ ٤٦٠)، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨٣٠٢).

﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾

قرأ نافع وابن عامر: فلا يخاف عقباها بالفاء، وكذلك في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون: ولا يخاف بالواو، وكذلك في مصاحفهم(١)

واختلف أهل التأويل في من المراد بقوله تعالى ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴾ إلى أقوال:

الأول: أن الذي لا يخاف عقباها هو الله سبحانه وتعالى، فهو لا يخاف تبعة دمدمته عليهم، فعن ابن عباس، قال: لا يخاف الله من أحد تبعة، وعن الحسن قال: ذاك ربنا تبارك وتعالى، لا يخاف تبعة مما صنع بهم.

الثاني: أن الذي لا يخاف عقباها هو الذي عقرها، أي: عُقبى فعلته التي فعل، فعن الضحاك و السديّ قال: لم يخف الذي عقرها عقباها، وروى القولين الطبري(٢).

وذكر السمعاني القول الأول عن الحسن، وذكر أنها رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وروى الثاني عن الضحاك، والسدِّيُّ، والكلبي(٣).

وجعل ابن عطية القول الأول قول ابن عباس والحسن، والثاني قول الزجاج وأبي علي، والسدي والضحاك ومقاتل(٤).

وقد بين السمرقندي أن القراءة بالفاء إنما هي على وصل الذي بعدها بالذي قبلها، وهو قوله ﴿ فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴾ يعني:

(١) الحجة للقراء السبعة ٦/ ٤٢٠، وينظر: العنوان في القراءات السبع ص٢١٠.
(٢) جامع البيان (٢٤/ ٤٦١).
(٣) الكشف والبيان (٢٩/ ٤٣٣،٤٣٢)
(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٩)

أطبق عليهم العذاب بذنبهم ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ يعني: فسوى الأرض عليهم، ولا يخاف عقبى هلكهم، ولا يقدر أن يرجعوا إلى السلامة، ومن قرأ بالواو، فمعناه التقديم والتأخير، يعني: الذي عقرها، وهو لا يخاف عقبى عقرها[١].

وعلق النحاس عليهما بأن القول الأول هو على كون القراءة بالفاء، وذكر أن عليه أهل التأويل وأنه الصحيح عن ابن عباس.

وفي القول الثاني حكى عن إبراهيم بن محمد أيضا أنه قال: ومن قرأ بالواو ذهب إلى أن المعنى للعاقر أي انبعث أشقاها ولا يخاف عقباها أي وهذه حاله، وعلق عليه النحاس فقال: والذي قال حسن غير أنه لا يجوز أن يكون بالواو لله جلّ وعزّ الذي قاله بيّن والله أعلم بما أراد[٢].

الثالث: لا يخاف رَسُولُ اللَّهِ صَالِحٌ عليه السلام الذي أرسل إليهم عُقْبَاهَا ذكره الزجاج، وقال عن الأول: إنه أكثر ما جاء عن أهل التفسير، وروى الثاني بلفظ قيل[٣].

وذكر ابن عطية القولين الأولين، وجعل هذا القول الثالث محتملا[٤]،استبعده ابن جزي[٥]، وقال أبو حيان عن القول الأول: «إنه الظاهر لأنه أقرب مذكور، واستبعد الثاني لأن فيه بعدا لطول الفصل بين الحال وصاحبه وذكر الثالث بلفظ وقيل يحتمل[٦]».

---

(١) بحر العلوم (٣/٥٨٦، ٥٨٧)

(٢) إعراب القرآن للنحاس (٥/ ١٤٨)

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٣٣)، زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١، ٤٥٢)

(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٤٨٩).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٤٨٧).

(٦) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٩٠).

ونسب ابن كثير القول الأول لابن عباس، ومجاهد وغيرهما، والثاني للضحاك والسدي، ثم قال: «والقول الأول أولى؛ لدلالة السياق عليه[١]»، وجعل ابن عادل القول الأول هو الأظهر؛ لأنه أقرب مذكور[٢].

ومن قرأ بالفاء فهي تقتضي التعقيب، ومن قرأ بالواو جَوَّز أن تكون للحال، وأن تكون لاستئناف الإخبار[٣].

ومن قرأ بالفاء: جاز أن يقف على قوله ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ ، ومن قرأ بالواو لم يجز له أن يقف؛ لأنها واو حال، ولا يجوز الوقف دون الحال[٤].

والضمير في ﴿ عُقْبَهَا ﴾: للفعلة، أو للدمدمة، أو للعقوبة، أو للتسوية[٥] .

والله أعلى وأعلم.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كير(٨/ ٤١٥).
(٢) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٦٧).
(٣) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٣٦٧).
(٤) النكت في القرآن الكريم (ص٥٥٨).
(٥) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (٦/ ٤١٠،٤١١).

الخاتمة

الحمد لله الذي باسمه تبدأ الأشياء وبحمده تختتم، الحمد لله الأول وليس قبله شيء، والآخر وليس بعده شيء، والذي بنعمته تتم الصالحات وبعد،،،،

فقد من الله علينا بإتمام البحث واستكماله ويطيب لي أن أذكر بعض النتائج التي توصل إليها البحث، ثم أردفها بالتوصيات.

النتائج:

١ – لله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه وقسمه بهم تشريف لهم.

٢– ليس للخلق أن يقسموا إلا بالله سبحانه أو بصفة من صفاته، ولا يحق لهم القسم بغير الله.

٣– التناسق والترابط بين سور البلد والشمس والضحى تناسق بديع، يشهد بأنه تنزيل من حكيم حميد.

٤– ليست القصة القرآنية حكاية للتسلية والتفكه، وليست خرافة باطلة، وإنما هي حقيقة ثابته، ووحى أوحاه الله إلى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم.

٥– عقاب الله للظالمين إنما هو عدل منه بسبب معاصيهم المنكرة.

التوصيات:

١– الاهتمام بتفسير كتاب الله تعالى، وإبراز ما فيه من الإعجاز الإلهي.

٢– دراسة قصص الأنبياء دراسة مستفيضة، وتنقيحها من الإسرائيليات والدخيل، وما دسه أعداء الإسلام.

٣– اهتمام الباحثين بالموضوعات المهمة التي تخدم القرآن الكريم، واختيارها بدقة ليكون النفع بها أعم وأشمل.

المصادر والمراجع

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد ابن أحمد الدمياطيّ، (ت :١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، ط: دار الكتب العلمية – لبنان، الثالثة، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.
- أحكام القرآن، لأبي محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم المعروف «بابن الفرس الأندلسي» (ت: ٥٩٧ هـ)، تحقيق: طه بن علي بو سريح وأصحابه، ط: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) ، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الأساس في التفسير، ل سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، ط: دار السلام – القاهرة، السادسة، ١٤٢٤ هـ.
- أسرار ترتيب القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ط: دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- إعراب القراءات السبع وعللها، لأبي محمد بن خالويه النحوي (ت: ٣٧٠ هـ)، ضبط نصه وعلق عليه: أبو محمد الأسيوطي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الأولى، ١٣٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.
- إعراب القرآن ، لإسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني(ت: ٥٣٥هـ)، قدمت له: فائزة بنت عمر المؤيد، ط: بدون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٢١ هـ.

- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن ابن إبراهيم المطرودى، ط: دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى – ١٤١٨ هـ.
- إيضاح الوقف والابتداء، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبي بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م
- بحر العلوم (تفسير السمرقندي) لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت:٣٧٣هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وصاحبيه ، ط: دار الكتب . العلمية _ بيروت، لبنان ، الأولى ، ١٤١٣ هـ _ ١٩٩٣م.
- البحر المحيط في التفسير (تفسير أبي حيان)، لمحمد بن يوسف الشهير أبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر – بيروت،١٤٢٠ هـ.
- البرهان فى تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، سنوات نشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ ، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ - ، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ.
- بيان المعاني، لعبد القادر بن ملّا حويش (ت: ١٣٩٨هـ)، ط: مطبعة الترقي – دمشق، الأولى . ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥م.
- البيان في عدّ آي القرآن، لعثمان بن سعيد بن عثمان أبي عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ).
- تاريخ نزول القرآن، لمحمد رأفت سعيد ، ط: دار الوفاء - المنصورة، مصر، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- تأويل مشكل القرآن، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
- التبيان في تفسير غريب القرآن، لأحمد بن محمد بن عماد الدين بن الهائم (ت: ٨١٥هـ)، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الأولى - ١٤٢٣ هـ.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف ، لعبد الله بن يوسف ابن محمد الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط: دار ابن خزيمة – الرياض، الأولى، ١٤١٤هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن محمد ، ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، تحيقق: عبد الله الخالدي، ط: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت، الأولى . ١٤١٦هـ.
- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد ابن سعود، ط: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد ، الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- تفسير القرآن (تفسير السمعاني) ، لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وصاحبه، ط: دار الوطن – الرياض – السعودية، الطبعة الأولى . ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .
- تفسير القرآن العظيم، لأبي يالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد –السلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، لفخر الدين محمد ابن عمرو التميمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- تفسير الكَرْمانِي (غَرَائِبُ التَّفْسِيرِ وعَجَائِبُ التَّأْوِيلِ)، لمحمود بن حمزة الكَرْمانِي، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة، الأولى، ١٩٩٧، ١٩٩٨.
- تفسير غريب القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨مـ.

- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق، ط: دار التربية والتراث – مكة المكرمة، بدون تاريخ نشر.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية)، الأولى . ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني صاحبه، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.
- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، ودار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.
- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة وصاحبه، ط: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت، الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي وصاحبه، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى – ١٤١٨ هـ.
-الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي وأصحابه، ط: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق.
- زاد المسير في علم التفسير (تفسير ابن الجوزي) ، لعبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس، بن مجاهد (ت:٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، ط:دار المعارف– مصر، الثانية، ١٤٠٠هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، لمحمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، ط: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥ هـ.
- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد وأصحابه، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
- السنن الصغير للبيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي، أبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.
- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وصاحبه، ط: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع،لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت ١٤٠٣هـ)، ط: المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة.

- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، ط: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت:٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مطبعة عيسى لبابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- العقل والنقل عند ابن رشد ، لأبي أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (ت: ١٤١٥هـ)، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية عشرة – العدد الأول – غرة رمضان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- العنوان في القراءات السبع، لإسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ (ت: ٤٥٥هـ)، تحقيق: الدكتور زهير زاهد ، وصاحبه، ط: عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، محمد ابن إبراهيم بن علي بن المرتضى (ت: ٨٤٠هـ)، حققه: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الثالثة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤ م.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلميه – بيروت، الأولى – ١٤١٦ هـ. ١٩٩٦م.
- غريب الحديث، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.
- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، لمحمد بن عُزير السجستاني، أبي بكر العُزيري (ت : ٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ط: دار قتيبة – سوريا، الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

- الغريبين في القرآن والحديث، لأبي عبيد أحمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- الفاخر، للمفضل بن سلمة بن عاصم، أبي طالب (ت نحو ٢٩٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، ط: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، الأولى، ١٣٨٠ هـ.
- فتح القدير المسمى الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الأولى - ١٤١٤ هـ.
- القراءات وأثرها في علوم العربية، لمحمد محمد سالم محيسن (ت: ١٤٢٢هـ)، ط: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، الأولى، ١٤٠٤هـ.
- القطع والائتناف، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحَّاس (ت: ٣٣٨ هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، ط: دار عالم الكتب - المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، أبي العباس (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي - القاهرة الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني (ت٦٤٣ هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، ط: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - السعودية، الأولى،١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
- كتاب القدر، لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (ت: ٣٠١ هـ)، تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور، ط: أضواء السلف - السعودية، الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، ط: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الأولى – ١٩٩٦م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري) ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ) ، تحقيق محروس عامر، ط: دار الكتاب العربي – بيروت . الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، وأصحابه، تحقيق: عدد من الباحثين، أصل التحقيق: رسائل جامعية ، ط: دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، لعلي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى – ١٤١٥ هـ.
- اللباب في علوم الكتاب (تفسير ابن عادل)، لعمر بن علي بن عادل (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وصاحبه، ط: دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، الطبعة : الأولى . ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م .
- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور المصري (ت: ٧١١هـ)، ط دار صادر– بيروت ، الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، ط: مكتبة الخانجى – القاهرة، ١٣٨١ هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

- مجموع الفتاوى، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف ، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) ، لعبد الحق ابن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ط دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى ـ ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل أو (تفسير النسفي)، لأبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود النسفي (ت: ٧١٠هـ). راجعه: محيي الدين ديب مستو، ط: دار الكلم الطيب . بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- مسند البزار المسمى باسم البحر الزخار، لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢ هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وأصحابه، ط: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الأولى، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩ م).
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن موسى بن عياض ابن عمرون اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤هـ)، ط: المكتبة العتيقة ودار التراث.
- مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ، والمسمى: "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، لإبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، ط: مكتبة المعارف – الرياض، الأولى ١٤٠٨ هـ .
- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ) ، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل، ط: دار التأصيل، الثانية، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٣ م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين ابن مسعود البغوي (ت:٥١٠هـ) ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

- معانى القرآن للأخفش ، لأبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
- معاني القراءات للأزهري، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور (ت: ٣٧٠هـ)، ط: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت : ٣١١هـ)، ط: عالم الكتب ، الأولى ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٨م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وأصحابه، ط: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الأولى.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، لجلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- المُعْجَمُ الكَبِير للطبراني قِطْعَةٌ مِنَ المُجَلَّدِ الحَادِي والعِشْرِينَ (يَتَضَمَّنُ جُزْءًا مِنْ مُسْنَدِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ)، لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت :٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد وصاحبه، الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
- المُعْلم بفوائد مسلم، لمحمد بن علي بن عمر التَّمِيمي (ت:٥٣٦هـ)، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، ط: الدار التونسية للنشر، الثانية،١٩٨٨م.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (بهامش إحياء علوم الدين)، لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، ط: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية دمشق . بيروت، الأولى - ١٤١٢هـ.

- المفضليات، للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت: نحو ١٦٨هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وصاحبه، ط: دار المعارف – القاهرة، السادسة.
- مقامات بديع الزمان الهمذاني، لأبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة الأزهرية، ١٣٤٢ هـ – ١٩٢٣ م.
- النكت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، لعلي ابن فَضَّال بن علي المُجَاشِعِي (ت: ٤٧٩هـ)، تحقيق: د. عبد الله عبد القادر الطويل، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤٢٨ هـ– ٢٠٠٧م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك بن محمد الجزري (ت: ٦٠٦هـ) ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى وصاحبه، ط المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية بجامعة الشارقة ، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الأولى ، ١٤٢٩ هـ.
- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، لعبد الفتاح بن عبد الغني ابن محمد القاضي (ت: ١٤٠٣هـ)، ط: مكتبة السوادي للتوزيع، الرابعة، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وأصحابه، قدمه وقرظه: أ.د/ عبد الحي الفرماوي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لمحمد بن عبد الواحد ، المعروف بغلام ثعلب (ت: ٣٤٥هـ)، تحقيق: محمد بن يعقوب التركستاني، ط: مكتبة العلوم والحكم – السعودية ، الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.